الوثائق الملكية

عن الدعوة الإسلامية للملك عبدالعزيز آل سعود

دكتور/ عدنان بن محمد بن عبد العزيز الوزان
وكيل وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والارشاد للشئون الاسلامية

الطبعة الثانية

ح دار اشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الوزان ، عدنان محمد

الوثائق الملكية عن الدعوة الإسلامية للملك عبدالعزيز .- ط٢ .- الرياض

... ص ، .. سم

ردمك : ٤-٩٠-٧٢٧-٩٩٦٠

١- السعودية - تاريخ - الملك عبدالعزيز ٢- الدعوة الإسلامية أ- العنوان

ديوي ٩٥٣,١٠٥ ٢٠/٢٨٩٣

رقم الايداع : ٢٠/٢٨٩٣

ردمك : ٤-٩٠-٧٢٧-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله الذي جعل أمة الإسلام خير أمة تدعو إلى دين الحق وإلى طريق مستقيم، القائل جل شأنه: ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلي الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾. والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين النبي المعلم الداعي إلى توحيد الله وإقامة شرعه، صلى الله عليه وآله وصحبه وأتباعه وسلم تسليماً كثيراً. أما بعد:

فهذا كتاب «الوثائق الملكية عن الدعوة الإسلامية للملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود» يظهر في طبعته الثانية في أقل من ستة أشهر من صدور الطبعة الأولى التي نفدت سريعاً. وقد حثني كثير من الزملاء على إعادة طباعته لما لقيه من الإقبال الشديد من كثير من المؤسسات الحكومية داخل المملكة وخارجها، وكذا المعاهد العلمية والأفراد. كيف لا والكتاب يتحدث عن الملك المؤسس للمملكة العربية السعودية، الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود ـ يرحمه الله ـ وعن منهجه الإسلامي في بناء صرح كيان دولة الدعوة في عصرها الحديث.

إنها الدولة التي أسسها الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ على أساس الشريعة الإسلامية في حفظ حقوق الإنسان من مواطنين وزائرين وحجاج ومعتمرين، والعناية بالتربية والتعليم ونشر الثقافة الإسلامية، والعناية بالأمور الحياتية للناس اجتماعياً واقتصادياً وصحياً، والاهتمام بإنشاء المؤسسات الحكومية التي

تحكم سياسة الدول من منطلقات تعاليم الإسلام السمحاء في مجلس الوزراء، ومجلس الشورى، وهيئات القضاء المختلفة، والمحاكم الشرعية. وحفظ الأمن والسلامة للمواطنين، والاهتمام بشؤون الزراعة، فضلاً عن الاهتمام بقضايا الأمة الإسلامية من خلال دعوة التضامن الإسلامي والدعوة إلى السلم الوطني والعالمي. وقد تطور ذلك كله في عهود خلفائه من أبنائه البررة سعود وفيصل وخالد ـ يرحمهم الله جميعاً ـ وتجسد واقعاً ملموساً في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود ـ يحفظه الله ـ وعضديه الكريمين صاحبا السمو الملكي الأميران الجليلان عبدالله وسلطان رعاهما الله ووفقهم للخير.

وقد ظهرت الطبعة الأولى بمناسبة احتفال المملكة العربية السعودية بمرور مائة عام على تأسيسها. والطبعة الثانية تظهر بمناسبة اختيار الرياض عاصمة الثقافة لعام ٢٠٠٠م.

ورأيت من المناسب إعادة طبع الكتاب بعد أن أجريت عليه بعض التصويبات المطبعية واللغوية، فضلاً عن أنني قمت بعزو الآيات القرآنية الكريمة وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة التي وردت في كلمات الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ وخطاباته

ومن ذلك عرض لحقيقة الوهابية في المملكة العربية السعودية وما جاء من وثائق ملكية ترد أقوال الزور والزيف والباطل على المرجفين والمبطلين.

وبلاغاته، مع إضافات بسيطة لبعض المباحث في الكتاب.

أسأل الله العلي القدير أن ينفع بهذا الكتاب ومافيه من دعوة الحق والخير، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

المؤلف

تمهيـــد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن كثيراً من دول العالم تعتز بما لديها من وثائق وسجلات لأقوال زعمائها وقادتها، التي تعتبرها مصدراً لتاريخها الحضاري والثقافي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي والديني. وتلك الأقوال ينظر إليها نظرة فخار وإكبار، ويعتد بها بمثابة إطار مرجعي لمن يتولون سدة الحكم في تلك البلدان والدول، وإذا كانت تلك الأقوال لا تمت بصلة إلى أحكام الله وشرائعه والحكم بما أنزل جل وعلا فإنها ـ أي تلك الأقوال ـ مثل الجسد الذي لا حياة فيه ولا روح، وهي خالية من هدي رب العالمين، إلا أن تلك الشعوب والأمم تعمل على تلقينها للأجيال المختلفة لتشرأب نفوسهم المسار الأساسي لنظام الحكم والسياسة في تلك الدولة، أو ذلك البلد، سواءكان مسيحياً أو يهودياً أو علمانياً أو اشتراكياً أو شيوعياً.. إلخ.

ويأتي الاهتمام بتعليم أبناء البلاد تلك الأقوال تعظيماً لشأن القادة والزعماء ومالهم من إنجازات وأفعال في الرقي بأوطانهم

وتقدمها، فكل بلد يعتز بعظمائه ولكن من كان يريد العزة الحقيقة الأصيلة فإنها لله ولرسوله ﷺ.

وهكذا كان شأن المملكة العربية السعودية، وهكذا كان حال ولاة الأمر فيها منذ تأسيسها في عهد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود ـ يرحمه الله ـ وهكذا كان ولازال الأمر بعده في أبنائه البررة الذين تسنموا سلطان الحكم من بعده رحم الله من قضى نحبه منهم، وأمد الله في عمر من خلفهم وحفظهم الله بما يحفظ به عباده الصالحين.

إن المملكة العربية السعودية وسياسة ولاة الأمر فيها أعزهم الله بالإسلام وأعز بهم الإسلام حفظوا الشريعة الإسلامية وحكومها، وإن حق لأحد أن يعتز بأقوال قادته وزعمائه فإن أبناء المملكة العربية السعودية وشعبها أحق بذلك، لما تنطوي عليه تلك الأقوال بالتأكيد على التمسك بالشريعة الإسلامية وتطبيق حكم الله وشرعه، وما تنطوي عليه تلك الأقوال من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المبينة لحقائق الدعوة الإسلامية والدعوة إلى الله، واتباع ما جاء في كتابه العزيز وسنة نبيه المصطفى الرؤوف الرحيمﷺ. فتلك الأقوال فيها من المآثر الدعوية والفكر الإسلامي المستنير والتربية الإسلامية الراشدة في أمور السياسة والحكم والاقتصاد والاجتماع

والعمران .

وبمناسبة الاحتفاء بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، واستلهاماً لذكرى التاريخ واسترجاعاً لمبادئ التأسيس لهذه المملكة الفتية وما حباها الله من خيرات الدين والدنيا، وفي إطار المناشط العلمية والفكرية والثقافية بل والدعوية لوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، وبمناسبة انعقاد ندوة (الدعوة في عهد الملك عبدالعزيز ـ طيب الله ثراه ـ) رأيت أن الواجب الإسلامي والواجب الوطني يدعونا للمشاركة بعمل أحسب فيه النفع للأمة الإسلامية والدعاة وأبناء المملكة العربية السعودية، حيث جمعت بعض النماذج للوثائق الملكية من كلمات الملك عبدالعزيز وخطاباته ورسائله وبلاغاته وبياناته في الدعوة الإسلامية، لتكون وثيقة تاريخية لهذه الندوة وسجل فخر واعتزاز بدعوة الإسلام والشريعة الإسلامية في أقوال الملك المؤسس ـ يرحمه الله ـ، وعلى القارئ المتأمل أن يعمل فكره ويمعن نظره في قراءة هذه الوثائق قراءة إسلامية، وقراءة نفسية، وقراءة سياسية، وقراءة علمية فكرية، وقراءة تاريخية، فبكل لون من ألوان هذه القراءات وغيرها لن يعدم القارئ أن يستلهم الحكمة والفائدة في هذه الوثائق وما تحمله من مضامين

هي في حد ذاتها بيان لحقيقة ذلك الملك الفذ ـ يرحمه الله ـ وانعكاسات ذلك من الخيرات والبركات في أرجاء بلاده وفي أبنائه الملوك والأمراء وأمته وشعبه، نعم لقد قال يرحمه الله: «أنا رجل ربيت تربية بدوية.. ما أجيد صوغ الكلام ورصفه.. وأهل الصحف يكتبون أشياء منمقة.. ويهندسون كتاباتهم هندسة كاملة.. وأنا ليس عندي شيء من هندسة الكلام.. الذي يجول في قلبي عن أساسات البناء هو الذي اتكلم به.. وليس عندي مقدرة المهندس ا لذي يعدل البناء ويرتبه».

إن هذا القول ينطوي على تواضع هذا الملك الكريم، وإنك تضع يدك على منطلقات مبادئه فيما تكلم به من تلك العبارة التي قالها ببساطة: «الذي يجول بقلبي هو الذي أتكلم به»، فهو لا يحاول أن يجعل من الكلام بضاعة و«الصادق» ـ كما نعلم ـ ليس بحاجة إلى تنميق الكلام ولا هندسته.. فهو واثق من أنه لا يقول غير ما في قلبه، وأن ليس لديه ما يخفيه أو يكتمه، كما أن ضميره مطمئن تمام الاطمئنان إلى انسجام أعماله واطمئنانه إلى انسجام أقواله، فما حاجته والحالة هذه إلى تنميق القول وزخرفة الحديث و«هندسة» الكلام؟.

إنك لتشعر ـ مع الملك عبدالعزيز وما قاله ـ يرحمه الله ـ

بالقلب الكبيـر الذي أقـام ذلك الملك الشـامخ ، وبنى ذلك الصرح الوطيد ، كيف كـان يحرص على إقامة العدل وتوفير أسباب الحماية والحياة لرعاياه جميعاً من منطلقات الدعوة الإسلامية عقيدة وشريعة .

تلك هي الحقيقة الناصعة الباهرة عن الملك عبدالعزيز يرحمه الله كما سنبرزها في نماذج الوثائق الملكية في هذا المبحث وكما يتجلى برهانها في أقوال وشهادات الكثير من الساسة وأرباب السلطان والعلم والفكر ممن عاصروه وخبروه ، واختبروه خصوصاً من غير العرب والمسلمين ، عرفوه متحدثاً ومحاوراً وخطيباً ومفاوضاً سياسياً ومباسطاً اجتماعياً ، والعديد من السجايا والمناقب الكريمة ، وفي هذا يقول الدكتور فون ويزل الذي زار الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ عام ١٣٤٥ ـ ١٩٢٦ : «وفي ابن سعود ميزة أخرى وهي أنه كريم صادق وقد حادثته مرتين في شؤون مختلفة بعضها دقيق جداً ، فلم ألحظ قط أنه يلبس الباطل ثوب الحق . . نعم . . كـان «سياسياً» أحياناً في أجوبته ـ فلا يقول كل ما يعرفه ـ ولكنه لم يتلفظ بكلمة واحدة غير صادقة . . والظاهر أن هذا شأنه مع الجميع فإني لما قابلت القناصل الأجانب في جدة قالوا لي : «إذا قال لك ابن سعود شيئاً فثق أنه يقول لك الحقيقة التي لا تشوبها شائبة» .

وفي كتابه (الحج إلى بيت الله الحرام) الذي صدر عام ١٣٤٨هـ ـ ١٩٢٩م يتحدث «ناصر الدين دينيه» الكاتب الفرنسي المسلم عن الملك عبدالعزيز فيقول:

«. . . وبعد صلاة المغرب وتناول العشاء عدنا إلى أماكننا لسماع الخطبة التي سيلقيها هذا المسلم العظيم. . وما هي إلا هنيهة حتى بدأ جلالته، ولم يغير شيئًا من هيئته الأولى، فها هو جالس في مكانه وقد انحنى قليلاً نحو الحاضرين، وابتدأ خطابه بالقاء طبيعي سهل، كان خالياً من تلك الإشارات التمثيلية الثقيلة، سالماً من تلك الحركات المتكلفة الركيكة، وتلك الأصوات المزعجة، فالرزانة والرجولة الكاملة والاعتداد بالنفس كلها كانت تتفجر في خطبته، ومن العجيب ألا يفارق حالته العادية وهدوءه المعتاد، حتى في ذلك الوقت الذي يبحث فيه أخطر المسائل وأهمها، ولم نر منه إشارة سوى ضم شبابتيه حينما يتكلم عن الاتحاد، وتفريقهما حينما يتكلم عن التفرق، ورغم هذا كله فقد كنا نحس بأن وراء هذا الهدوء وهذه البساطة وهذه الرزانة حزماً وعزماً وبطولة فذة يختص بها».

أما كيرمث روزفلت المؤرخ الأمريكي في كتابه (العرب والتاريخ والبترول) فيقول عن الملك عبدالعزيز إنه:

«. . . يمتلك لب كل زائر يفد عليه من الخارج، ويمنحه

صبراً لا ينفذ، وحباً للاستطلاع لا حد له، وله براعة نادرة في أن يجعلك تشعر بأنك فرد من أسرته القريبة، على الرغم من توسط ترجمان بينك وبينه فيما تتبادلانه من حديث».

ويعلق «كنث وليامز» عن الملك عبدالعزيز ومناقبه الخطابية قائلاً: «مواهب ابن سعود الخطابية عظيمة، فهو يظهر مقدرة عجيبة في أحاديثه العامة والخاصة، وهو إذا تكلم تدفق كالسيل، يحب التحليل ورد الشيء إلى أصله، شديد الولع بتشريح المواضيع تشريحاً يدل على ذكاء وفطنة ولباقة، يخاطب البدوي بلهجة البدوي، والحضري بلهجة الحضري، وما استمع اجنبي إليه إلا خرج مفتوناً بحديثه»[(١)].

ما من شك أن هذا متحقق في سيرة الملك عبدالعزيز وحياته، وتقديم نماذج الوثائق الملكية عن الدعوة الإسلامية للملك عبدالعزيز هو تثبيت للمفاهيم الإسلامية الصحيحة التي قامت عليها المملكة العربية السعودية، وتسجيل للتاريخ الأدبي والفكري والسياسي والاقتصادي والاجتماعي في المملكة العربية السعودية من منطلقات الدين الإسلامي، فالحمد لله أن جعل المسلمين خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وأقام عليها حكاماً أمناء يحكمون بما أنزل الله ويدعون على بصيرة بدعوة الإسلام وصدق الله العظيم حيث

قال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد إمام الإنبياء وإمام الدعوة والداعين إلى رب العالمين بما أتم عليه نعمة الإسلام والإيمان، وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعه على طريق الحق والهدى بإحسان إلى يوم الدين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أ.د. عدنان بن محمد بن عبدالعزيز الوزان

وكيل وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف
والدعوة والإرشاد للشؤون الإسلامية
أستاذ الأدب الإنجليزي المقارن بجامعة أم القرى سابقاً

الرياض: العاشر من شهر صفر ١٤٢٠هـ

الموافق ٢٥/ مايو/١٩٩٩م

الملك عبدالعزيز: الدعوة والدولة

الحديث عن الدعوة الإسلامية في المملكة العربية السعودية وتحكيم الشريعة الإسلامية ونظام الشورىٰ في الحكم، وقيام المملكة دولة ذات كيان ديني، وحضاري، وثقافي، وسياسي، لابد أن يسبقه الحديث عن من أنعم الله عليه بالتوفيق، لبناء ذلك الكيان، ومكن له في الأرض، فأقام بعون الله وتوفيقه، دولة أمضت من عمرها المديد الطويل ـ بمشيئة الله ـ مائة عام وإلىٰ مزيد مزيد في مسيرة الخير والبركة، أعز الله دولة الإسلام، وأدام علىٰ ولاة الأمر فيها التمكين والعزة والمنعة، قامت هذه الدولة علىٰ دعوة الإسلام والالتزام بالكتاب والسنة في السياسة والحكم والمعاملات، والاقتصاد، والعمران.

وبين يدي القارئ نبذة مختصرة عن رجل الأمة الأول في تاريخ الدولة السعودية في عصرها الحديث، وقصة تأسيسها، فالملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود ـ يرحمه الله ـ يعد من أعظم القادة والزعماء في هذا القرن، ومن أبرز صناع التاريخ في العصر الحديث، فهو أول بطل عربي مسلم أقام وحدة حقيقية راسخة الجذور، وطيدة الأركان ـ علىٰ أرض الجزرية العربية ـ في العصر الحديث، أساسها الدين

الإسلامي الحنيف، ورغم أن عبدالعزيز . . . الملك الفذ . . مضىٰ علىٰ وفاته ما يزيد عن أربعين عاماً تقريباً، إلا أن ذكراه الطيبة، وسيرته العطرة، وأعماله المجيدة لاتزال نابضة في القلوب وحاضرة في الأذهان، فهو غير بعيد عنا اليوم في مقياس الزمن، واستلهام سجايا شخصيته الفذة وتجربته الثرية وثمراتها اليانعة في البناء والتطوير يلقي الضوء علىٰ ما كان من أمر هذا الحاكم العادل وعمله الإسلامي الدعوي.

ولد الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ في الرياض عام (١٢٧٩هـ ـ ١٨٨٠م)، وقضىٰ أوائل صباه في ظل جو من الاضطراب والخلافات القائمة في المنطقة آنذاك سياسية كانت أم دينية، وتعلم القراءة والكتابة، ثم عهد به والده ـ يرحمه الله ـ إلىٰ بعض العلماء الذين تلقي عنهم مبادئ العقيدة، والشريعة الإسلامية، حتىٰ أشرب قلبه بها وأصبحت بصره وسمعه كما سيتبين للقارئ في ثنايا هذا البحث من خلال قراءة جملة من الوثائق الملكية عن الدعوة في أقوال الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ.

وفي عام ١٣٠٨هـ رحل مع أبيه الإمام عبدالرحمن إلىٰ الكويت، وكان عبدالعزيز ـ بالرغم من صغر سنه ـ قد وعىٰ ما حدث، وترسخت في أعماق نفسه ذكريات مريرة عن ملك

آبائه الضائع، وعن وطنه المغتصب الذي عتت عليه الخطوب والآلام، وتشكلت فيه مخايل الرجولة والبطولة، والفروسية، وتكامل الشخصية، وحسن الخلق، وسعة الأفق، وكريم الطباع، وتوقد الذكاء وقوة الحجة والبيان، والميل إلى التأمل والتفكير العميق والإيمان الصادق والتوكل العظيم على الرب الكريم سبحانه. وحين بلغ عبدالعزيز العشرين من عمره ـ وهو في الكويت ـ تجلت مواهبه العديدة، وبرزت فيه ملامح الزعامة، وصفات القيادة بما هيأ الله له من بسطة في الجسم، ورجاحة في العقل، وبراعة في الفكر، وإيمان بالحق، وجرأة في اتخاذ القرار السليم، ولم تكن هذه الصفات والمزايا لتجتمع إلا لقائد فذ أو تتوافر إلا لملك عظيم مهيب. . وعقد البطل عبدالعزيز العزم على مسيرة الجهاد لإعلاء كلمة الله، وتوحيد البلاد وجمع شمل الأمة تحت راية التوحيد داعياً وحاكماً وعالماً، وكان أكبر همه فتح الرياض، ثم الإنطلاق منها لتحقيق غايته السامية النبيلة.

وفي ظل ظروف قاسية، ومصاعب كثيرة، وإرهاصات مخيفة، خرج عبدالعزيز من الكويت إلى الرياض، عبر صحراء قاحلة، بجيش صغير، وزاد قليل، ورواحل هزيلة، ولكن جنبات قلبه تحمل إيماناً عميقاً بالله ـ عز وجل ـ واقتناعاً

بعدالة قضيته وهي استعادة ملك آبائه وأجداده وتحرير وطنه مهما بذل من جهد وقدم من تضحيات .

وكان عبدالعزيز الملك على علم مما سيعانيه هو ورجاله من مشقة، وما سيلاقيه من أخطار محدقة، وأعداء كثر، فبالرغم من أنه سليل أسرة عربية عريقة، كانت تحكم الدرعية قبل مائتين وخمسين عاماً، حملت خلالها لواء الدعوة الإسلامية التجديدية، (زمن الإمامين محمد بن سعود، ومحمد بن عبدالوهاب) يرحمهما الله، إذ قاومت نفوذ الحاقدين والحاسدين، وبالرغم من شرعية عبدالعزيز في استرداد الحكم والسلطة، إلا أن مهمته لم تكن ميسرة إطلاقاً بسبب التغيرات الكثيرة التي طرأت على الجزيرة العربية، وفي أعقاب الخلافات بين حكامها وأمرائها، فضلاً عن غياب الأسرة السعودية المؤقت، حيث عم الفقر والجهل والمرض، وانتشرت البدع والخرافات، وكثر القتل، والنهب والسلب، وقطعت طرق الحج، وحلت الفوضى، إلى أن تمكن الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ من فتح الرياض .

فمع شروق شمس يوم الخامس من شوال عام ١٣١٩هـ الموافق للخامس من يناير ١٩٠٢م خلص عبدالعزيز الرياض من أيدي المعتدين، ونادى المنادي في أرجائها قائلا : «الملك لله

ثم لعبدالعزيز» وهذه هي نقطة الانطلاق الأولى لتأسيس المملكة العربية السعودية وهذه بداية سيرة الملك في السياسة والحكم (دعوة ودولة).

كان فتح الرياض بداية مسيرة الملك عبدالعزيز التوحيدية، وفاتحة جهاد مبارك، استمرا واحداً وثلاثين عاماً حقق من خلاله توحيد الكيان الكبير، فبعد فتح الرياض وتحصينها انطلق الملك عبدالعزيز يوحد أجزاء الدولة حيث ضم القصيم عام ١٣٢٢هـ، وضم الأحساء عام ١٣٣١هـ، وفي عام ١٣٣٤هـ ضم منطقة عسير، ثم حائل عام ١٣٤٠هـ، وواصل القائد البطل انتصاراته الباهرة في لم شمل الوطن، فتحقق له الانتصار في الطائف ودخل مكة عام ١٣٤٣هـ ثم جدة عام ١٣٤٤هـ، وبذلك أصبحت سائر مدن الحجاز ونجد تحت حكمه يرحمه الله.

وما أن انتهى الملك عبدالعزيز من مرحلة الجهاد والتوحيد، حتى بدأ مرحلة البناء والتنظيم، وتوطيد الأمن وتأمين طرق الحج، وتعمير البلاد، وتشجيع الزراعة، وتوطين البدو وتثبيت كيان المملكة وتسوية مشاكل الحدود وتحسين العلاقات مع الدول العربية والإسلامية الشقيقة، والدول الصديقة، والوقوف إلى جانب قضاياها العادلة.

ولقد خطى الملك عبدالعزيز خطوات موفقة في مجال الإصلاح الداخلي للبلاد فجعل القرآن الكريم، والسنة النبوية المشرفة، دستور المملكة، وأسس مجلس الشورى، وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما نشر المدارس الحديثة واستقدم المدرسين، وأرسل البعثات، وطبع الكتب ووزعها مجاناً، وعمل على الانتفاع بكافة أساليب الحضارة والمخترعات الحديثة، وعندما أنعم الله عليه بتدفق البترول عام ١٣٥٨هـ أخذت المملكة تتطور في الجوانب التعليمية، والعلمية، والصحية، وإنشاء الطرق، والسكك الحديدية، وأسس مجلس الوزراء ووضع موازنة للدولة، وابتدأ في تنفيذ مشروعات توسعة الحرمين الشريفين خدمة للهدف الإسلامي الذي جعله همه الأكبر.

وفي النواحي السياسية الخارجية عقد الملك عبدالعزيز المعاهدات مع الدول بما يحقق مصالح المملكة وأسهم في تأسيس جامعة الدول العربية عام ١٣٦٥هـ كما أصبحت المملكة عضواً في هيئة الأمم المتحدة، وعمل الملك عبدالعزيز على نصرة قضايا أمته وبذل جهوده في تقديم المساعدات، والإعانات المالية، والعسكرية للدفاع عن تلك القضايا العادلة.

وفي شهر ربيع الأول من عام ١٣٧٣هـ انتقل الملك

عبدالعزيز إلى جوار ربه بعد أن ناضل وجاهد أصدق الجهاد في سبيل الحق والخير. وبعد أن أسس هذه المملكة المترامية الأطراف ووضعها على مشارف المستقبل.

وقد سار أبناؤه البررة على طريق الخير مترسمين خطاه مقتفين أثره (الملك سعود ثم الملك فيصل ثم الملك خالد - يرحمهم الله)، لقد حملوا مسؤولية القيادة وساروا بهذه المملكة على طريق البناء والتقدم، والمملكة العربية السعودية تعيش اليوم أوج نهضتها في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود - يحفظه الله - الذي قاد الأمة، وحقق للبلاد نهضة شاملة، في مختلف المجالات، فاحتلت المملكة مركزها المرموق بين الدول العصرية الحديثة وأصبحت قبلة أنظار العالم، لدورها الفعال في تعزيز التعاون، والتضامن، والاستقرار، والسلام وخدمة الإسلام والمسلمين، وبذل الخير، ونفع البشرية.

وما من شك فإن دول العالم وحكوماتها على اختلاف مشاربها، وحضارتها، وثقافتها، وتوجهاتها السياسية والإدارية، تعتمد في نظم حكمها، وإدارتها، قائمة من الاهتمامات لتصريف شؤون الحياة وأمور الناس، بما يخص أهداف الدولة، ونظام الحكم، وتوزيع السلطة، وما يلزم

لشعبها من شؤون الدفاع، والتعليم والصحة لإقامة مجتمع إنساني سليم، ودولة لها سيادة واحترام بين دول العالم، والمملكة العربية السعودية تتوافق في هذا الأمر مع بقية الدول.

ولكن المملكة العربية السعودية، تتميز عن بلدان ودول العالم جميعاً، بما من الله عليها من واجب خدمة الحرمين الشريفين، والاهتمام بهما رعاية للحجاج والزوار والمعتمرين لأقدس بقاع الأرض وأعظمها حرمة ومكانة عند الله، وفوق ذلك كله فإن المملكة العربية السعودية حاملة لواء الدعوة الإسلامية ولواء التضامن الإسلامي، إن هذا متأكد للعيان ظاهر البرهان بعيد عن الافتراء والبهتان، إذ يؤكد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ابن عبدالعزيز آل سعود ـ حفظه الله ـ ذلك في قوله:

«لقد تأسس الحكم في هذا البلد العزيز علينا وعلىٰ كل مسلم في العالم علىٰ تقوىٰ الله، وإقامة حدود الله، والتمسك بتعاليم العقيدة الإسلامية نصاً وروحاً قولاً وفعلاً، نأمر بالمعروف وننهىٰ عن المنكر، ونقيم العدل بين الناس، نفشىٰ السلام، ونصل الأرحام، ونسعىٰ ما استطعنا إلىٰ الإصلاح بين الناس وحل الخلافات بالكلمة الطيبة وبالتي هي أَحَسَن.

علىٰ هذه الأسس القويمة والدعائم الكريمة قامت المملكة

العربية السعودية منذ أن أسسها الملك الراحل عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود يرحمه الله».

وهكذا كانت الدولة وهكذا كانت الدعوة وبذاك بدأت المسيرة وكان البناء والتوحيد والتوفيق والتشييد.

العقيدة والتوحيد

للملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ مقولات كثيرة عن التوحيد ونبذ الشرك. ولبيان المضامين العميقة في أقواله ـ يرحمه الله ـ نبين معنى التوحيد، ومن ثم نستشهد ببعض الوثائق الملكية للملك عبدالعزيز في خطاباته وأقواله.

إن التوحيد الذي جاءت به الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية[٢]: إنما يتضمن الألوهية لله وحده، بأن يشهد أن لا إله إلا الله، لا يعبد إلا إياه، ولا يتوكل إلا عليه هو ولا يوالي إلا له، ولا يعادي إلا فيه، ولا يعمل إلا لأجله، وذلك يتضمن ما أثبته الله عز وجل لنفسه من الأسماء والصفات والربوبية التامة له سبحانه وتعالى، فقال تعالى: ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾[٦].

وأخبر الله سبحانه وتعالى عن كل نبي من الأنبياء أنهم دعوا الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾(٧).

وقال عن المشركين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾(٨). وهذا في القرآن كثير(٩).

ثم يبين شيخ الإسلام ابن تيمية المقصود بالتوحيد الخالص، المتضمن إفراد الله بالألوهية، وتمام العبودية خالصاً من الشرك، فيقول: «وليس المراد بالتوحيد مجرد توحيد الربوبية، وهو اعتقاد أن الله وحده خلق العالم؛ كما يظن ذلك من يظنه من أهل الكلام والتصوف، ويظن هؤلاء أنهم إذا أثبتوا ذلك بالدليل، فقد أثبتوا غاية التوحيد، وأنهم إذا شهدوا هذا وفنوا فيه، فقد فنوا في غاية التوحيد، فإن الرجل لو أقر بما يستحقه الرب تعالى من الصفات، ونزهه عن كل ما ينزه عنه، وأقر بأنه وحده خالق كل شيء، لم يكن موحداً حتى يشهد أن لا إله إلا الله وحده، فيقر بأن الله وحده هو الإله المستحق للعبادة، ويلتزم بعبادة الله وحده لا شريك له و«الإله» هو المألوه

المعبود، الذي يستحق العبادة، وليس الإله بمعنى القادر على الاختراع، فإذا فسر المفسر «الإله» بمعنى القادر على الاختراع، واعتقد أن هذا المعنى هو أخص وصف الإله، وجعل إثبات هذا هو الغاية في التوحيد، كما يفعل ذلك من يفعله من متكلمة الصفاتية، لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسوله ﷺ، فإن مشركي العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء، وكانوا مع هذا مشركين، وقال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾(١٠) ». ولننظر إلى مفاهيم التوحيد ومعانيه عند الملك المؤسس، إذ يتحدث ـ يرحمه الله ـ في الخطاب الذي ألقاه في الحفل التكريمي الذي أقامه لكبار الحجاج في مكة المكرمة يوم عيد الأضحى المبارك ١٠/ ١٢/ ١٣٥٤هـ، الموافق ٥/ ٣/ ١٩٣٦م فيقول:

«دين الإسلام دين الإنسانية والسماحة، ولقد أرسل الله رسوله محمداً ﷺ بأشرف الكتب لخير الأمم، فكتاب الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. ولقد أعز الله الإسلام بالسنة المحمدية، فما في كتاب الله تؤيده السنة وما في السنة يؤيده الكتاب.

والمسلم لا يكون إسلامه صحيحاً إلا إذا أخلص العبادة لله وحده، يجب أن يتدبر المسلمون معنى (لا إله إلا الله) فإن

(لا إله) نفي لكل معبود فيما سوىٰ الله، (إلا الله) إثبات العبادة لله وحده، فيجب علىٰ الإنسان ألا يشرك مع الله في عبادته نبياً مرسلاً ولا ملكاً مقرباً، ويجب أن يتبع المسلمون القول بالعمل.. أما القول المجرد فلا يفيد، وما الفائدة في رجل يقول: (لا إله إلا الله) ولكن يشرك ما دون الله في عبادته؟.. ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾».

إن الإشراك في عبادة الله كفر، وليس بعد الكفر ذنب، وإن دين الله ظاهر كالشمس لا لبس فيه ولا تعقيد، دين الله مكتوب في الكتاب والسنة، فكل عمل اتفق مع الكتاب فهو الحق، وكل عمل خالف الكتاب والسنة فهو الباطل[١١].

وتحدث في خطابه الذي ارتجله الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله تعالىٰ ـ في الحفل الذي أقامه لكبار حجاج بيت الله الحرام في ذي الحجة عام ١٣٥٦هـ الموافق لشهر فبراير عام ١٩٣٨م موضحاً نعمة التوحيد وفضله وأهميته فقال:

«من نعم الله علينا معرفة كلمة «لا إله إلا الله».. وكل إنسان يعمل بها تتم له السعادة.. فهذه الكلمة هي كل شي، ومضمون كل شيء..

فإن كلمة «لا إله» هي كلمة نفي، تنفي كل معبود سوىٰ الله.. وكلمة «إلا الله» إثبات العبادة له سبحانه وتعالىٰ[١٢]».

وفي الحفل الملكي التكريمي الذي يقيمه الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ لكبار وفود حجاج بيت الله الحرام في كل عام تحدث في حج عام ١٣٦٢هـ عن سمو الإسلام ورفعته وأسمى ما في ذلك توحيد الله وترك الشرك به، فقال يرحمه الله تعالى:

«من أكبر نعم الله على المسلمين أن جعل أركان الإسلام تلك الأركان الخمسة التي أولها كلمة الإخلاص، وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وكلمة الشهادة هذه تنقسم إلى قسمين: «لا إله» تنفي العبادات جمعيها عن سوى الله، «إلا الله» إثبات العبادة له سبحانه وتعالى. وهي تشتمل على حكم ربانية باهرة، وبعد الإقرار لله بالوحدانية لا بد من الإقرار برسالة محمد ﷺ، لأن من يقول «لا إله إلا الله» ولم يقل: «محمد رسول الله» فقد كفر». ويستطرد الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ قائلاً:

«وأما العبادة، فلا تصرف إلا لله وحده، لا لملك ولا لنبي مقرب مرسل، ولا تخفى عليكم الآية الكريمة التي وردت في آخر سورة «الذاريات»، في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ ومعنى يعبدون: أي «يوحدون».. فالتوحيد خاص بالله تعالى، والعبادة لا تنصرف إلا إليه،

والرجاء والخوف والأمل كله بالله وإلى الله وما بعث محمد وأرسل الرسل ولا جاهد المجاهدون إلا لتوحيد الله تعالى، أما العبادة التي لغير الله فأصحابها كما وصفهم الله ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ . عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ . تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾. فكل خشوع لغير الله أو خضوع لغير الله يوقع صاحبه في المهالك عياذاً بالله، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، ذلك رسول الله أنزل عليه الله كتابه مع أمين السماء جبريل، فمن شك فيما جاء به محمد فهو كافر(١٣).

هذه نماذج للوثائق الملكية من أقوال الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ وما تحمله من مفاهيم التوحيد والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى وصرف كل أنواع العبادات والطاعات له جل جلاله واتباع هدى النبي المصطفى ﷺ وما بلغ عن ربه إن هو إلا وحي يوحى وما ينطق عن الهوى، يقول عليه الصلاة والسلام: «أوتيت الكتاب ومايعدله»(١٤)، ويقول ﷺ: «أوتيت الكتاب ومثله معه»(١٥).

الشريعة والأحكام

يعلم الناس جميعاً أن المملكة العربية السعودية قامت في أساس حكمها ومنهاج سياستها على أحكام الشريعة الإسلامية والالتزام التام بما جاء في القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ. قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٦).

وللملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ أقوال كثيرة يصعب حصرها في هذا الكتيب الصغير، وهذه الأحاديث جاءت في مناسبات عديدة ومختلفة، وكان الملك عبدالعزيز من حبه للأمة العربية والإسلامية، كان ـ يرحمه الله ـ يحرص على لقاء كبار وفود حجاج بيت الله الحرام في موسم الحج، وكانت تلك اللقاءات السنوية من أغلى المناسبات وأسماها عنده للتحدث معهم بلسان الداعي المؤمن مبيناً أهمية التمسك بكتاب الله العزيز وسنة النبي المصطفى ﷺ. وفي موسم حج عام ١٣٥٥هـ تحدث الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ أمام أعيان المفكرين وعلماء المسلمين من الهند، فقال:

«الحقيقة إن الإسلام هو اتباع كتاب الله تعالى، وما جاء به الرسول ﷺ. ويقول تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ

وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾. ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾.. وليس هناك شيء أجل من نعمة الإسلام على الإنسان، فقد قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾.

والإنسان إذا كان مسلماً، يضع لنفسه نظاماً يسير بمقتضاه، فما يخالف كتاب الله أو سنة رسوله فذلك هو الضلال المبين، نعوذ بالله منه، ومن أعظم ما يثبت علينا ديننا هو تمسكنا بالشهادتين وبمعناهما الصحيح من إثبات العبودية لله، والإيمان بنبيه ورسوله الذي نجده أحب إلينا من أنفسنا وأموالنا وعيالنا، ويجب أن نقيم الصلاة ونؤتي الزكاة ونصوم رمضان ونحج البيت ما استطعنا إليه سبيلاً.

أما أحكام المذاهب فلسنا نخالفها في شيء، وهي مذاهبنا جميعاً، من مذهب الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي، ومذهبنا هو اتباع الدليل حيث يكون، فإن فقد الدليل ولم يكن هناك إلا الاجتهاد اتبعنا اجتهاد ابن حنبل وما جاء في الكتاب والسنة، ونحب المسلمين جميعاً، ونرجو لهم الخير والفلاح والسعادة، ونرجو من الله سبحانه وتعالى أن ينصر دينه ويعلي كلمته ويجمعنا على كلمة «لا إله إلا الله محمد رسول الله» إنه سميع قدير(١٧).

وفي عـام ١٣٥٦هـ خـلال الحفـل الملكي الذي أقـامـه الملك عبدالعزيز لكبـار حجـاج بيت الله الحرام تـكلـم يرحمـه الله عن أصول الشريعة الإسلاميـة ومسائل فروعـها وأمـور الاجتـهاد، فقـال مبيناً حقيـقة الإيمان ومستشـهداً بقـوله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾. فعلق لقـاء ربه بـعـدم الشرك، وقـد قـال النبي ﷺ: (أخـوف مـا أخاف علىٰ أمتي الشرك).

يقـول بـعض الضـالين: إن القـرآن مثل الأترجـة، وقد عـصره العلماء فلم يبقـوا منه شيئاً، والحقيقة إن القرآن قدوة الناس إلىٰ يوم القيامة، وهو ينفع حافظه في ذلك اليوم العسير.

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾.. من كان من علماء هذه الأمـة وكذب علىٰ الله ورسـوله، وغـيّر مـا جاء به الرسـول فهو مغضـوب عليـه، وقد قال النبي ﷺ: (أخاف ما أخاف علىٰ هذه الأمـة الخـوارج عليـهـا من الذين تركـوا المحكم وفـسـروا المتشابهة وبهذا ضلوا).. فيجب أن نؤمن بكتاب الله وبمتشابهه ونؤمن بما جاء به محمد ﷺ، ومن الناس من يقول آمنا ولكنهم يسبون أهل بيته ويسبون عـمـر وعثمان وأصـحابه، وكيف ذلك وقـد قـال ﷺ: (عليكم بسنتي وسنة الخلفـاء الراشـدين المهـديين من بعـدي).. ولا نسـتطيع أن نفعل ذلك إلا بـاتباع سنة رسـول

الله والسلف الصالح من الذين هاجروا مع النبي وجاهدوا في سبيل الله، فكل إنسان لا يحب الله وكتابه ورسوله فهو ضال، والكلام في هذا يطول، وأنا لست بعالم، ولكن الحق برهان، والذي نمشي عليه هو طريق السلف الصالح، ونحن لا نكفر أحداً إلا من كفره الله ورسوله، وليس من مذهب سوىٰ مذهب السلف الصالح، ولا نؤيد بعض المذاهب علىٰ بعضها، فأبو حنيفة والشافعي ومالك وابن حنبل أئمتنا، ومن وجدنا الحديث الصحيح معه اتبعناه، فإن لم يكن هناك نص وإنما هو الاجتهاد في الفروع فنتبع اجتهاد أحمد بن حنبل، والأصل كتاب الله وسنة رسوله، لا نفضل أحداً علىٰ أحد، ولا كبيراً علىٰ صغير، (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ولا فضل لعربي علىٰ أعجمي إلا بالتقوىٰ، وهل يقبل العقل أن هناك من هو أفضل من محمد ﷺ، وأن هناك قبيلة أعز من قبيلة محمد ﷺ، وهي قريش؟ . . ولكن النسب لا يغني عن الإنسان شيئاً، ولولا ذلك ما عز سلمان الفارسي وبلال، وما لعن أبو جهل وأبو لهب، والفضيلة في الدين والرجال، والعزة بالله لا بالحسب والنسب كما تقدم القول ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾(١٨)».

وخلال استقبال الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ لكبار

حجاج بيت الله الحرام المهنئين بعيد الأضحى المبارك، وخلال الحفل الملكي الذي أقامه لهم في العاشر من شهر ذي الحجة عام ١٣٦٥هـ، تحدث ـ يرحمه الله ـ بجلاء عن رفض اتهامات المبطلين والمرجفين وصف المملكة العربية السعودية وشعبها بالوهابية، وبين ـ يرحمه الله ـ مدى التمسك بالكتاب والسنة، فقال:

«نسأل الله تعالى أن يعز الإسلام ويزيل عنا الشر والعدوان، وأن يوفقنا إلى العمل بما جرى عليه السلف الصالح ببركة الله ثم ببركة التعاون والتآلف، وأوصيكم بالتعاضد والتساند وأن يحب أحدكم لأخيه ما يحبه لنفسه.

يقولون: إننا «وهابية»، والحقيقة أننا سلفيون محافظون على ديننا، ونتبع كتاب الله وسنة رسوله، وليس بيننا وبين المسلمين إلا كتاب الله وسنه رسوله، ولقد صدق القائل:

فليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب

ونحن جميعاً مقصرون في أمور ديننا، ولكن الله غفور رحيم، وفي حديث قدسي عن الله: (يا عبادي لو لم تذنبوا لخلقت عباداً يذنبون فيستغفرون فأغفر لهم)[١٩]».

لقد تحدث الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ إلى أبناء شعبه في مكة المكرمة في الثالث والعشرين من شهر محرم عام ١٣٤٨هـ قبل سفره إلى الرياض مبيناً أغراض الحرب الفكرية والعقدية

التي وجهت إلى المملكة العربية السعودية فقال: «حاربتنا (أي بعض الدول مثل الدولة العثمانية) باعتبار (الوهابية) مذهباً جديداً، وأن ابن عبدالوهاب جاء ببدعة جديدة، وأن (الوهابيين) تجب محاربتهم، إلى غير ذلك من الأقوال المنمقة التي انطلت على أصحاب العقول السذج من الدهماء فانخدعوا وانقادوا لأقوالها ولكن الله نصرنا عليهم»[٢٠].

وفي مناسبة أخرى، وخلال الحفل الذي أقامه الملك عبدالعزيز في غرة ذي الحجة من عام ١٣٤٧هـ في قصره بمكة المكرمة، كان قد بين يرحمه الله حقيقة الدعوة الإسلامية في المملكة العربية السعودية وأماط اللثام عن الدعاوى الزائفة بتسمية حكومة المملكة العربية السعودية وشعبها (بالوهابيين)، فقال:

«يسموننا «بالوهابيين»، ويسمون مذهبنا «الوهابي» باعتبار أنه مذهب خاص.. وهذا خطأ فاحش نشأ عن الدعايات الكاذبة التي كان يبثها أهل الأغراض..

نحن لسنا أصحاب مذهب جديد أو عقيدة جديدة، ولم يأت محمد بن عبدالوهاب بالجديد، فعقيدتنا هي عقيدة السلف الصالح التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله وما كان عليه السلف الصالح.

ونحن نحترم الأئمة الأربعة، ولا فرق عندنا بين مالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة.. كلهم محترمون في نظرنا.

هذه هي العقيدة التي قام شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب يدعو إليها، وهذه هي عقيدتنا، وهي عقيدة مبنية على توحيد الله عز وجل خالصة من كل شائبة منزهة من كل بدعة، فعقيدة التوحيد هذه هي التي ندعو إليها، وهي التي تنجينا مما نحن فيه من محن وأوصاب[٢١]».

واعتزاز الملك عبدالعزيز وفخره بالشريعة عظيم جداً؛ فقد قال في خطابه الذي ألقاه في حفل الاستقبال الذي أقامه في مبنى وكالة المالية في الطائف يوم الثامن عشر لشهر محرم عام ١٣١٥هـ، جاء فيه:

«الشريعة كلها خير، وإن الله سبحانه وتعالى أنزل الكتاب وأرسل الرسل ووضع فيها ما أمرهم به وما نهاهم عنه..

والأمر لا يتم إلا بمسألتين:

الأولى: التوفيق... والتوفيق لا يكون إلا بالله.. ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ﴾.. والإنسان بلا توفيق لا يستطيع أن يعمل شيئاً.

والثانية: الاجتماع والائتلاف.. وهذان هما أساس كل شيء ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا﴾..

وقد شرع الله مشاريع في الدين مثل اجتماع المسلمين في الصلوات الخمس والجمعة.[٢٢]».

الشورى أم الديمقراطية الحزبية

وامتداداً لبيان الوثائق الملكية عن الدعوة الإسلامية في عهد الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ نستعرض بعض النماذج لهذه الوثائق التي تبين أهمية الشورى في الحكم في المملكة العربية السعودية باعتبار ذلك مبدأ إسلامياً جاء في القرآن الكريم وفي أفعال الرسول ﷺ وأقواله. قال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾(٢٣)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾(٢٤)، وقد طلب الرسول ﷺ المشورة من أصحابه في أكثر من مرة وقد سئل الرسول ﷺ عن (العزم) فقال: «مشاورة أهل الرأى ثم اتباعهم»(٢٥)، ويقول أبو هريرة رضي الله عنه: «ما رأيت أحداً أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ»(٢٦)، ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «من قام بهذا الأمر ـ أي الحكم ـ فهو تبع لأولى الرأي»، وفي الحديث أيضاً قوله ﷺ: «المستشار مؤتمن»(٢٧)، ويروى أنه عليه الصلاة والسلام قال لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما: «لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما»(٢٨).

وقد طبق النبي ﷺ في حياته الشريفة التعاليم القرآنية تطبيقاً عملياً فكان يستشير أصحابه فيما لم ينزل عليه في شأنه وحي،

وقد ثبت في السنة الصحيحة أنه ﷺ أخذ برأي بعضهم، وترك رأي اجتهاده، حينما بدت له المصلحة العامة. ومن ذلك ماحدث في غزوة بدر الكبرىٰ عندما علم النبي ﷺ بمسير قريش وعيرها، فاستشار أصحابه، فقام أبوبكر فقال وأحسن، ثم قام عمر فقال وأحسن، ثم قال النبي ﷺ: «أشيروا علي أيها الناس»، فقال سعد بن معاذ أحد سادات الأنصار: لعلك تريدنا يا رسول الله؟ قال الرسول ﷺ: (أجل). قال سعد بن معاذ: آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ماجئت به هو الحق، وأعطيناك علىٰ ذلك عهودنا ومواثيقنا، علىٰ السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فنحن معك، والذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، ومانكره أن تلقىٰ بنا عدونا غداً، إنا لصبر في الحرب، صدق في اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر علىٰ بركة الله. فاستنار وجه رسول الله ﷺ سروراً، وبشر أصحابه بالنصر[٢٩].

ولقد بادر رسول الله ﷺ بأصحابه قريشاً، فنزل علىٰ أدنىٰ ماء من بدر، فجاءه الحباب بن المنذر الأنصاري فقال: يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل، أمنزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا أن نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ فقال

رسـول الله ﷺ: «بل هو الرأي والحـرب والمكيـدة»، قـال الحباب: يا رسول الله إن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم فننزله، ثم نغور ما وراءه من القلب، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء، فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله ﷺ: «لقد أشرت بالرأي»؛ ثم نهض رسول الله ﷺ ومن معه من الناس، تحقيقاً لما أشار به بعض جنوده من ذوي الرأي والخبرة في أصحابه ـ رضوان الله عليهم جميعاً (٣٠).

وهذا الموقف يوضح أن واجب النصح يقضي على أهل العلم والخبرة إذا عرفوا طريقاً يحقق للأمة مصلحة عامة أن يسارعوا إلى التقدم به إلى ولي الأمر، وإلى كل من له عليها سلطان، ولو لم يُطلب منه ذلك، كما صنع حباب بن المنذر عندما أشار على الرسول ﷺ، حيث رأى أن رسول الله ﷺ نزل بالناس منزلاً لا يوائم تجارب الحرب، ولا تقره الخبرة التي توجب الأخذ بكل سبيل يؤدي إلى تقوية جند الإسلام، وإضعاف أعدائهم، مما يحقق للمسلمين النصر عليهم.

هذا مسلك في تطبيق مبدأ الشورى، أخذ به رسول الله ﷺ وهو مسلك منصب على استشارة ذوي الرأي من أهل العلم والخبرة في الأمة، في أمر لا يقع في تقدير العامة ومعارفها، بل

ربما لو طرح على العامة لأفسدته، فكان من البين أن يقتصر فيه على استشارة أهل الحل والعقد في الأمة، وهم أولو العلم من ذوي الاختصاص والتجربة التي تعتمد على الخبرة.

ومثال آخر في مشورة أولي العلم والخبرة وخاصة من عقلاء الأمة ورؤوسها، وليس للعامة فيه نصيب، مشاورة النبي ﷺ خاصة أصحابه في أسرى بدر في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: فلما أسروا الأسرى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: (ماترون في هؤلاء الأسرى؟) فقال أبوبكر: يا نبي الله هم بنو العم والعشيرة أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام، فقال رسول الله ﷺ: (ماترى يا ابن الخطاب؟) فقال عمر: لا والله يا رسول الله، ما أرى الذي رأي أبي بكر، ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم... فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها، فرأى رسول الله ﷺ رأى أبوبكر ولم يهو ماقلت، وقد نزل القرآن كاشفاً عن الغيب مؤيداً ماهوى رسول الله ﷺ من رأى أبي بكر رضي الله عنه[٣١].

وهناك أمور تتعلق الحقوق فيها برأي العامة الذين تتصل بهم اتصالاً مباشراً، ولايحتاج الرأي فيها إلى كبير تدبير، فتكون مشورتهم حقاً من حقوقهم لايقضى فيها إلا إذا أخذ رأيهم

بطريقة من الطرق المتاحة في المجتمع للتعرف على رأيهم، ومثال ذلك مما شرعه النبي ﷺ لأمته لتقتدي به من بعده، فقد قام رسول الله ﷺ حين جاءه وفد هوزان مسلمين، وسألوه أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم. فقال رسول الله ﷺ: "معي من ترون - أي من عامة الناس وخاصتهم - وأحب الحديث إلي أصدقه، فاختاروا إحدى الطائفتين، إما السبي، وإما المال، وقد كنت استأنيت بكم). قالوا: فإنا نختار سبينا، فقام رسول الله ﷺ في المسلمين، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: (أما بعد فإن إخوانكم جاءونا تائبين، وإني قد رأيت أن أرد لهم سبيهم؛ فمن أحب منكم أن يطيب ذلك فليفعل، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول مايفيء الله علينا فليفعل). فقال الناس: قد طيبنا ذلك يارسول الله. فقال رسول الله ﷺ: (وإنا لاندري من أذن منكم في ذلك ممن لم يأذن، فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم). فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم، ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ فأخبروه أنهم قد طيبوا وأذنوا"(٣٢).

وهذا السبيل في تطبيق الشورى يوضح أنها الدعامة الأولى في صرح (نظام الحكم في الإسلام) يرشدنا إلى أدق ما وصلت إليه السياسة في تعرف رأي العامة فيما يتصل بها مما يكون للأفراد حق فيه.

ذلك ـ كما يقول العلماء ـ أن الإمام أو الوالي لايمكنه أن يباشر جميع الأمور بنفسه، فيحتاج إلى إقامة من يعاونه ليكفيه مايقيمه فيه، والأمر والنهي إذا توجه إلى جماعة الناس جملة يقع فيه التواكل من بعضهم، وربما وقع التفريط، فإذا أقام الإمام عرفاء على الناس، على كل أهل بيت أو قبيلة أو جماعة يتحمل مسئولية قومه وجماعته لم يسع العرفاء إلا القيام بما أمروا به[٣٣].

هذا أسلوب من أساليب السياسة التي عرفها فن الدساتير في أنظمة الحكم الذي يسمونه الحكم (الديمقراطي)، وهذا اللون لم يخرج عن كونه نموذجاً من نماذج المسالك التي يمكن بها تعرف رأي العامة فيما يتعلق بالأفراد مباشرة من الحقوق والواجبات، وليس هو المسلك الذي لا مسلك سواه، لأن المقصود من سائر المسالك هو الوقوف على رأي أصحاب الحقوق في المسائل العامة، وليس في كل الأمور كما سبق بيانه.

والذي يدل على أن هذا النظام الذي أتاحته الشريعة إنما هو مجرد نموذج يحتذى، وهو مسلك رسول الله ﷺ في تطبيق مبدأ الشورى: وهذا بالنظر للنبي ﷺ المؤيد بالوحي كاف جداً في توطيد دعائم الشورى مبدءاً أساسياً لشريعة الإسلام التي تقوم على دعائمه (نظام الحكم في الإسلام).

ولم يكن النبي ﷺ في حاجة قط إلى مشاورة أحد، لأن الله تعالى يقول في حقه: ﴿وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى﴾، فهو ﷺ مسدد من الله تعالى في اجتهاده، ولم يكن يجتهد إلا فيما ينزل عليه فيه وحي، وكان اجتهاده واقعاً تحت إقرار الوحي. يقول أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري: "ما أمر الله تعالى نبيه بالمشاورة لحاجة منه إلى رأيهم، وإنما أراد أن يعلمهم مافي المشاورة من الفضل، ولتقتدي به أمته من بعده"(٣٤).

والحوادث التي اجتهد فيها رسول الله ﷺ، وكانت موضع مشاورة أصحابه كلها راجعة إلى السياسة والحكم، وما يترتب عليها، وإلى أمور الدنيا ومصالح الخلق في معاشهم، ولم يكن يشاور أحداً قط في العقيدة والأحكام لأنها منزَّلة من عند الله جل جلاله.

أما موقف الأمة بعد رسول الله ﷺ من مبدأ الشورى، فهو الموقف الذي دلت عليه حياة الخلفاء الراشدين، والصالحين من ولاة الأمر في خير قرون الإسلام، فإنه لم يعرف عن أحد منهم أنه استبد برأيه، بل كانت الشورى ديدنهم في جميع مايعرض لهم من الحوادث التي لم يكن فيها نص من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ، سواء أكان ذلك من قبيل سياسة الأمة أم من قبيل التشريع الاستنباطي في الأحكام الشرعية (الاجتهاد

والإجماع)، أم كان من قبيل مصالح الحروب وتعيين قوادها، وتجهيز الجيوش، ومعاهدات الصلح، وإقامة موازين العدل بين الأفراد والجماعات، وتحديد علاقات الأمة بغيرها من الأمم في حالتي الحرب والسلم، إلىٰ غير ذلك مما يشمل سائر جوانب الحياة في الأمة.

وأول موقف من مواقف الشورىٰ بعد رسول الله ﷺ كان موقف الصحابة في إقامة الخلافة عن رسول الله ﷺ واختيار خليفة المسلمين، وقد تمت هذه المشاورة ببيعة الصديق أبي بكر رضي الله عنه بيعة إجماعية، ثم كانت مشاورتهم في أهل الردة، وقد تشاوروا في الأحكام الاجتهادية التي لم يجدوا عليها نصاً في القرآن ولا في السنة، كمشاورتهم في عدد الجلد علىٰ شرب الخمر، ومشاورتهم في ميراث الجد وبيع أمهات الأولاد، وشاور عمر الهرمزان في الحرب، فقال له الهرمزان: مر المسلمين أن ينفروا إلىٰ كسرىٰ، فأخذ عمر برأيه، وتشاوروا في الوباء يحل ببلد، هل يقدم عليه، أو يهرب منه، وجرىٰ الحوار فيه بين عمر وأبي عبيدة حتىٰ روىٰ عبدالرحمن بن عوف حديثاً في شأنه عن النبي ﷺ فوقفوا عنده.

فعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلىٰ الشام، حتىٰ إذا كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه رضوان الله عليهم

جميعاً فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشام، قال ابن عباس: فقال عمر: ادع لي المهاجرين الأولين، فدعاهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام فاختلفوا، فقال بعضهم: قد خرجت لأمر ولا نرى أن ترجع عنه. وقال بعضهم: معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ﷺ ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادعوا لي الأنصار، فدعوتهم فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي من كان هاهنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، فدعوتهم فلم يختلف منهم عليه رجلان. فقالوا: نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء، فنادى عمر في الناس إني مصبحٌ على ظهر فأصبحوا عليه، قال أبو عبيدة بن الجراح: أفراراً من قدر الله. فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كان لك إبل هبطت واديا له عدوتان: إحداهما خصبة والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟ قال: فجاء عبدالرحمن بن عوف وكان متغيباً في بعض حاجته، فقال: إن عندي في هذا علماً؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه. قال:

فحمد الله عمر ثم انصرف)[٣٥]

وقد حض النبي ﷺ على إقامة الشورى من بعده بما يشعر بوجوبها، روى الترمذي في جامعه أن النبي ﷺ قال: (إذا كان أمراؤكم خياركم، وأغنياؤكم سمحاءكم، وأموركم شورى بينكم، فظهر الأرض خير لكم من بطنها، وإذا كان أمراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاءكم وأموركم إلى نسائكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها)[٣٦].

ففي هذا الحديث وعد بالخير والبركة في حياة المسلمين ماداموا متمسكين بالشورى، وفيه وعيد شديد، وإنذار بما تلقاه الأمة في حياتها من الشدائد والمحن إذا تخلت عن الشورى الجادة. وخضعت للعواطف المائعة.

والشورى أتت في سياق الصفات والشمائل التي تنظم علاقة رئيس الجماعة الإسلامية بالمسلمين، وظلت الشورى تعبر عن الضمير الإسلامي على مر العصور والأزمان والإجماع هو أحد مبادئ التشريع الإسلامي لا يقوم إلا بعد التشاور وتبادل الرأي والمشورة، وأخذاً بهذا المبدأ العظيم نجد الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ يؤكد على ذلك في الخطاب الملكي الذي ألقاه في الجلسة الافتتاحية لمجلس الشورى في

السابع من شهر ربيع الأول عام ١٣٤٩ هـ، وتحدث بقوله:

«يا حضرات الأعضاء..

إني لأحمد الله الذي لا إله إلا هو، وأصلي على محمد وآله وصحبه، وأستفتح بالذي هو خير..

وبعد...

فإنني أفتتح باسم الله مجلسكم الكريم في دورته الجديدة، راجياً من الله تعالى أن يلهمكم الصواب في جميع قراراتكم وآرائكم... إني أذكر بسرور الجهود التي كانت من المجلس السالف، وما صدر عنه من نظم وقرارات كان رائدها ـ ولله الحمد ـ المصلحة العامة وتوخي الفائدة للبلاد..

إن أمامكم اليوم أعمالاً كثيرة، من موازنة لدوائر الحكومة ونظم من أجل مشاريع عامة تتطلب جهوداً أكثر من جهود العام السابق، وإن الأمة تنتظر منكم ما هو المأمول منكم من الهمة وعدم إضاعة الوقت الثمين إلا بما فيه فائدة البلاد المقدسة.

لقد أمرت ألا يسن نظام في البلاد ويجري العمل به قبل أن يعرض على مجلسكم من قبل النيابة العامة، وتنقحوه بمنتهى حرية الرأي على الشكل الذي يكون منه الفائدة لهذه البلاد وقاصديها من حجاج بيت الله الحرام.

وإنكم تعلمون أن أساس أحكامنا ونظمنا هو الشرع

الإسلامي، وأنتم في تلك الدائرة أحرار في سن كل نظام وإقرار العمل الذي ترونه موافقاً لصالح البلاد على شرط ألا يكون مخالفاً للشريعة الإسلامية، لأن العمل الذي يخالف الشرع لن يكون مفيداً لأحد، والضرر كل الضرر هو السير على غير الأساس الذي جاء به نبينا محمد ﷺ.

ولا أحتاج في هذا الموقف أن أذكركم بأن هذا البلد المقدس يتطلب النظر فيما يحفظ حقوق أهله، وما يؤمن الراحة لحجاج بيت الله الحرام، ولذلك فإنكم تتحملون مسئولية عظيمة إزاء ما يعرض عليكم من النظم والمشاريع، سواء كانت تتعلق بالبلاد أو بوفود الحجاج من حيث اتخاذ النظم التي تحفظ راحتهم واطمئنانهم في هذا البلد المقدس.

وإني أسأل الله لكم التوفيق في سائر أعمالكم..[٢٣]».

وسيراً على هدى الشريعة الإسلامية كما هو الحال في أقوال الملك عبدالعزيز وأفعاله ـ يرحمه الله ـ وكما أوصى أعضاء مجلس الشورى بأهمية التمسك بحبل الله المتين وطريقه القويم، فلقد كان هذا نهجه ـ يرحمه الله ـ في حديثه مع المسئولين في مملكته، ففي الحفل الذي أقامته أمانة العاصمة في مكة المكرمة على شرفه غرة ذي الحجة عام ١٣٤٨هـ قال:

«أشكر الله على أن أتاح لنا مثل هذه الاجتماعات العظيمة الجمة الفوائد، فهي في الحقيقة أجلّ الاجتماعات التي نحن

بحاجة شديدة إليها في كل وقت وآن.

وليس الغرض من هذه الاجتماعات الأكل والزينات ـ فإن هذا لا يهمنا ـ وإنما المهم عندنا أن نتذكر مع أخواننا بما يعلي كلمة التوحيد ويدعو لإخلاص العبادة لله، فهذ جل ما نقصده من هذه الاجتماعات.

إن الله ـ جلت قدرته ـ حكيم؛ إذ جعل للاجتماع في بيته الحرام فوائد جمة أولها الإخلاص في عبادة الله تعالىٰ في أقدس بقعة، حيث جعل بيته الحرام وأرسل رسوله من أفضل قبيلة قطنت هذه الديار.

وقد جعل الله الفخار لأيٍ كان بالتقوىٰ لا بغيرها، فلم يكن في الإسلام تفاضل بين العربي وغير العربي إلا بها، وفخار العرب وعزهم بالإسلام وبمحمد ﷺ. (٣٧)».

هكذا بين الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ بفطنة الداعية الماهر والمسلم الساهر علىٰ مصلحة الإسلام والمسلمين أن العنصرية لا مكان لها في الإسلام وأن المعوَّل في العمل هو تقوىٰ الله والتزام هدىٰ الكتاب والسنة، ويؤكد الملك عبدالعزيز عمله في الحكم بأنه داعية من دعاة الإسلام، وأن لا مكان عنده للألقاب والمسميات، فالمؤمن ليس عنده شيء أسمىٰ من الإيمان والإسلام، ففي خطابه خلال المؤتمر الوطني الذي قد أمر الملك عبدالعزيز بعقده للنظر في شؤون البلاد ودراسة ما تم من

خطوات ومنجزات وبحث مختلف القضايا التي تهم المواطنين، وكان عقد المؤتمر في الخامس عشر من محرم عام ١٣٥٠هـ، جاء في خطاب الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ قوله:

«لست ممن يفخرون بألقاب الملك ولا بأبهته، ولست ممن يولعون بالألقاب ويركضون وراءها، وإنما نحن نفتخر بالدين الإسلامي، ونفتخر بأننا دعاة مبشرون لتوحيد الله ونشر دينه، وأحب الأعمال إلينا هو العمل في هذا السبيل.. وكلما قمنا بشيء من هذا القبيل ـ ولو بسيط ـ شعرنا براحة واطمئنان، شعرنا بأننا نلنا فخراً يزيد عن فخر الملك وأبهته... أجل.. نحن دعاة إلى التمسك بالدين الخالي من كل بدعة، نحن دعاة إلى العروة الوثقى التي لا انفصام لها.

إن الله أمرنا أن ننظر في كل أمر من أمورنا وألا ندخر جهداً في المحافظة على كياننا، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾(٣٨).. الدنيا درجات.. ولو درسنا حالة الأوربيين وجدنا أنهم يعتصمون بالحديد والكهرباء وما شاكلها.. أما نحن فإنا نعتصم بحبل الله تعالى، ومن اعتصم بالله فهو حسبه..

نحن دعاة إلى الإيمان بالله تعالى وبرسوله وبكتاب الله وبسنة نبيه، نحن ندعو إلى ذلك جهد طاقتنا في السر والعلن، وليس في ذلك غش ولا تدليس(٣٩)».

ثم بعد ذلك بين الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ جملة من الأهداف التي من أجلها عقد المؤتمر الوطني، فقال:

إننا نسأل التوفيق من الله لنا ولكم في جميع الأفعال، ونسأله العناية والهداية إلى صالح الأعمال.

إن ابن آدم بشر، ويستحيل على الإنسان أن يكون شيئاً يذكر إلا أن ينال عناية من الله تعالى، وعناية الله لا تكون إلا لمن اتبع أمر الله تعالى، ومن وفقه الله وكان في كنف الله وفي عنايته كان النصر حليفه بدون شك..

إني أريد أن أتحدث إليكم في هذا الاجتماع في أمور متعددة ومقاصد جمة، والغاية من هذا الاجتماع هي:

١ـ اتباع ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام، تنفيذاً لما أمر الله به نبيه ﷺ بقوله: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾(٤٠) وللمشاورة فوائد جمة لا تحصى، ولو لم يكن من مصالحها إلا تقويم السنة لكفى، لأنه إذا أقيمت السنة زالت البدع.

٢ ـ إن الإنسان أحب ما إليه في حياته أن يجتمع مع صديقه، وأن يتجاذب وإياه أطراف الحديث، وبهذا يحصل التعارف وتظهر الحقائق ويقع التناصح، وقد كان السلف الصالح يسير على هذا الطريق في أعمالهم، فقد كان أمرهم شورى بينهم، وكان من أمرهم ما كان، وكانوا على ضعف

فصاروا إلى قوة.

٣ـ إن الناس الذين لا نشك أن الله عالم بقلوبهم وأنهم أعداء بعضهم البعض، كما قال الله تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾[٤١] قد بلغوا بالشورى مراتب عالية في الدنيا، ونحن المسلمون أمرنا الله تعالى بالمشورة، والمشورة لها أساس وهو النصح بالتزام الحق، ولها مزية ورونق، تحصل بهما الفائدة، أما السير على غير مشورة فهو مجلبة للنقض، مجلبة للهوى ـ هوى النفس ـ ونحن نريد المشورة أن نجمع بين السنة وبين ما أمرنا الله به في قوله: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾. وأعظم القوى التناصح والنية الصالحة؛ لأن كل شيء أساسه الإخلاص والنصح. هذا هو اجتهادنا في المسألة.. ونسأله تعالى العناية والتوفيق وإصلاح النية، وأن يوفقنا إلى ما فيه الخير والفلاح.

إنني لا أشك والحمد لله، بمحبة أهل الحجاز لنا سواء كان صغيرهم أو كبيرهم، ولا أشك في محبتهم لحكومتنا، وإنني أجزم جزماً تاماً أنهم ـ اليوم ـ لي أقرب من أقرب قريب، كما أن القلوب شواهد، وأن ما في الدنيا الكلام الكثير، منه المدح ومنه القدح، بلى.. إنه لازم في الدنيا من مادح وقادح، وهذا يكون حتى من أهل البيت الواحد، لا أقول: إن أهل الحجاز وأهل نجد وآل سعود أو آل عبدالعزيز لا يمدحون ولا

يقدحون، إن هذه حالة موجودة في كل زمان ومكان، فلا بد من رضى ولا بد من غضب، حتى إن زوجة الرسول ﷺ كانت إذا رضيت عن زوجها قالت: «ورب محمد»، وإذا غضبت قليلاً قالت: «ورب إبراهيم»[٤٢]. بيد أن الحقائق واليقين تحفظ الحقيقة. وعلاوة على ذلك، فوالله إنني ما سمعت قدحاً أو ما يكدر الخاطر قط.

فالغرض من هذا الاجتماع ـ مثلما ذكرت ـ هو أن سعادة الإنسان وحياته في الاجتماع مع إخوانه، وإني أحب أن أجتمع مع إخواننا في كل وقت للاطلاع على أحوالهم.

أنا أعرف أن الجميع مشغولون بمصالحي، لأن أشغالي وأشغالهم واحدة، ومصلحتي ومصلحتهم سواسية، فما كان في صالحهم فهو في صالحي، وأنا أشعر بجذل وسرور كلما رأيت الجميع موفقين في أعمالهم وأشغالهم..

يجب أن يعلم كل فرد أن كل جماعة لا يكون لها عاقلة لا تجد الراحة والهناء، وبما أن الحكومة جعلت غرة شهر محرم الحرام مبدأ لأعمالها السنوية والمالية فقد أحببت أن يكون لنا هذا الاجتماع في هذا الوقت على أن يكون الاجتماع أيضاً في شهر محرم من كل عام، للنظر في المصلحة العامة وللاطلاع على الأمور التي تمت والنظر في الأمور المقبلة، وكذلك للاطلاع على الاقتراحات التي تقدم. وهناك لا بد من مسائل

نقدمها للبحث فيها ودرسها كي تحصل نتائج مفيدة من ورائها . .

وهنا لا بد لي من التلميح بأنه يجب على كل إنسان أن يقول ما في ضميره بصراحة تامة وألا يخشي في الحق لومة لائم.

يجب أن يصرح كل فرد بما في نفسه ويقول ما يعتقد فيه منفعة، فهذا أمر واجب على كل إنسان لأن مجال البحث والتدقيق يوصل إلى نتائج حسنة، فعلى الإنسان الاجتهاد ومن الله التوفيق.

نعم . . . من واجب الإنسان النصح والإرشاد وألا يتقيد أحد بأن هذا مخالف أو ذاك موافق، بل يجب أن يقول بجلاء ما يرتأيه من خير وفلاح، فإن لكل مجتهد نصيباً . . فنحن دعونا لعقد هذا المؤتمر للوقوف على الحقائق التي لها علاقة بصالح البلاد والعباد، وقد أذعنا بلاغاً للأهلين كي يقدم كل ما يراه من مصلحة عامة لتدرسوه وتبحثوه . .

وهذا من شأنه كشف الحقائق وتطييب النفوس وتبكيت الأعداء، أضف إلى ذلك أنها سنة . .

وقد دعونا للاجتماع معتمدين على الله ثم عليكم، والإنسان لا يحب أن يدخل أحد إلى بيته لتفتيشه إلا إذا كان من أهل بيته، وأنتم أهل البيت فدعوناكم للقيام بالمهمة التي ألقيناها على عاتقكم، تنفيذاً لأساس الشرع والسنة . . . إن

الناس ليس لهم حياة إلا بعناية الله وتوفيقه، وهم غير معذورين في تركهم الاستمساك بما أمر الله به، أو في ارتكاب ما نهى عنه.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾(٤٣).

أنتم تعرفون أن هناك قبائل من البشر يسمونهم «العرب».. ولو كان لأحد أن يفتخر بهم لوجب أن أفتخر أنا بهم.. وكانوا في ظلمات الجهل والضلالة، ولكن الله من عليهم بنعمته وبرسالة محمد ﷺ.. وليس من شك في أن أفضل قبيلة في الدنيا هي القبيلة التي بعث منها محمد عليه السلام، وأفضل بقعة هي البقعة التي بعث منها ﷺ، فالشرف العظيم لا ينال بالانتساب إلى الآباء وإنما ينال بالتقوى ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى.. والشرف يكون بأمرين: بالدين ثم بالصدق في الأقوال والأفعال.. وأفضل شيء يقام هو تنفيذ أوامر الله تعالى في هذه البقعة المباركة التي أنزل بها الوحي وبعث بها محمدﷺ، وهي مسقط رأسه ومدفنه.

أضف إلى ذلك أن الحسنات فيها تتضاعف كما تتضاعف فيها السيئات أيضاً، ولذا يجب علينا أن نرغب في جلب الخير وأن نرهب من الشر، وهذا يكون باتباع أوامر الله والنية

الصحيحة والعمل الطيب. . والإنسان الذي لا يقوم بما أمر الله به لا ينجح أبداً أينما كان ﴿ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ ﴾(٤٤).

وليس الخبر كالعيان، وهذا بحث طويل لو أردنا أن نتكلم فيه أياماً لا ينتهي، ولكنا نختصر القول ونشكر الله على أن وفقكم بعنايته وجعلكم خير أمة أخرجت للناس، وبلدكم هذا بلد الله الحرام، فإذا لم نحرم ما حرم الله كانت نقمة الله علينا عظيمة، ثم كان هنالك كذب على الله، لذلك يجب أن ننظر في مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تنفيذاً لأمر الله وحفظاً له، ويجب النظر في الأمور التي تمادى البعض فيها وما هي إلا لهو ودنو إلى الشر وبعد عن الخير. .

يجب أن ننظف أنفسنا من الأدران ونطهرها من كل الأمور المختلفة وأن ندنو إلى ما يرضيه ونخاف عقوبته، إذ ليس هناك عقوبة أشد من عقوبة الدين، إذا وقع الشر في القلوب خربها وهذه البلاد يجب أن تكون قدوة صالحة للمسلمين في كل عمل من أعمالها. . فنحن نطلب المساعدة في هذا الشأن منكم ومن الأهلين، نريد أن تكونوا عوناً للحكومة في هذا الأمر لأنه إذا كان الجميع اتفقوا على درء المفاسد سهل العمل، أما إذا كانت إجبارية صعب حلها وطال أمرها.

فإذا عملنا هذا قمنا باللازم، وهذ أهم ما يجب العناية به، لأن الدنيا إذا كثرت خبرتها والدين أهمل فلا فائدة ترجى

منها، بل هذا أساس البلاء، أما إذا عمر الدين ونفذت أوامره واجتنبت محارمه صلحت الدنيا، فأنا أرجو أن تفكروا في طاعة الله ومخافته واتباع سنة رسوله، وأرجو أن تهتموا بالأمر اهتماماً شديداً.

يقول المثل: «أهل مكة أدرىٰ بشعابها»، فبإصلاح هذه المسألة يصلح كل شيء، وصفوةَ القول أنه أذا صلح الجسد وأمور الدين هي الرأس، فإذا استقام أمره أصلحت أحوالنا الدنيوية.

ثم هنالك مسألة أخرىٰ تهمني كثيراً لأنها من أسس الدين ومصالح المسلمين وهي مسألة القضاء، هناك التعطيل والتقصير الواقع بسبب كثرة الاختلاف في الدعاوىٰ، فنحن نطلب النظر في هذه الأمور لحسمها وحلها وبينكم من هو من أهل الدين ومن أهل الرأي، وإذا أردتم أن نزيدكم من أهل العلم سواء نجدي أو من خارج هذه الهيئة فاطلبوا، لأننا ما أضفنا أحداً لكم لأن المسألة بالانتخاب..

إن التقصير واقع وأنا مسئول عن هذا التقصير، ولا أستطيع أن أهمل هذا الأمر، وقد كلفت بالبحث فيه حيناً هيئة الشورىٰ، وحيناً هيئة التحقيق، ولكننا لم نصل إلىٰ نتيجة حاسمة، فيجب أن تنظروا في هذه الأمور وأمامكم مسألتان.. ففي المحكمة قضايا مضت عليها سنتان أو ثلاث

وهي واقفة معطلة، وهذا أمر مشكل، ومن رأيي انتخاب هيئة من العلماء للنظر في هذه القضايا والبت في أمرها بتاً نهائياً.

ثم مسألة الشهود والقدح فيهم.. وهذا واقع في الحجاز واشتكى منه القضاة وهذا أمر مشكل.. فالإنسان الذي يصنع القبيح ويثبت عليه ذلك يقام عليه الحد، وكذلك ينظر في القدح الذي يقام فإذا صح أقيم الحد على المقدوح به، وإذا لم يثبت يجازى المفتري، والحقيقة أن السواد من الدعاوى تأخر أمرها بهذا السبب.

هذه الأمور ـ في الحقيقة ـ من أساس الدين، فإذا أمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر وأصلحنا المحاكم هانت الأمور واستقرت الأحوال..

وكذلك نطلب منكم النظر في المسائل الاقتصادية، ويجب في هذا الشأن إمعان النظر في الحالة الوسطى والبحث في مصلحة البلاد والمشاريع التي يمكن تطبيقها فيها والتي يرجى منها الفائدة للبلاد والعباد.

وكذلك مسألة السيارات، فلها أضرار ومنافع، وقد كنا فكرنا في توحيدها وجعلها شركة واحدة اعتقاداً منا أن ذلك فيه المصلحة العامة، ولكننا وجدنا أن ذلك ليس منه مصلحة، فنطلب إليكم وضع طريقة مثلى لهذه القضية يكون من ورائها النفع العام..

هذه هي الأمور التي نرجو البحث فيها، وأنتم أحرار في أبحاثكم ومذكراتكم، ولكم الحق أن تسألوا الحكومة عما تبغون، ومجلس الشورىٰ كذلك يمكنه أن يعطيكم التفاصيل الكافية التي تطلبونها، فما كان عند المجلس فأعضاؤه معكم، اسألوهم يقدمون لكم ما تريدون، وما كان عند الحكومة فتطلبونه منها وما تريدون وهي تقدم لكم المستندات. .

وقد انتدبت من قبلي عبدالله الفضل وعبدالله علي رضا، والآن ألفت نظركم إلىٰ أنكم أنتم المسئولون عند الله ثم عندي وعند الأمة، فيجب أن تقدروا هذه المهمة حق قدرها وتعملوا لها بما فيه النفع. .»(٤٥).

لنتأمل الكلمات الملكية الرفيعة للملك عبدالعزيز في بيان خطر الأحزاب والتحزب والحزبية باسم الديمقراطية ونبذ الشورىٰ، فيقول: «وفي الجرائد اليومية والمجلات الشهرية شيء كثير من ذلك، وفي الصحف السيارة ما يصور للقارئ أن قسماً من الناس قطع في مضمار العلوم، ولا سيما الكونية منها، شوطاً بعيداً، لو حاولتم الوصول إليه في عشرات السنين لما وصلتم نصف المرحلة التي قطعوها، ولكن ماذا كان وراء هذا العلم الوفير؟ لا ترىٰ إلا أحزاباً يضرب بعضها بعضاً، ولا تسمع إلا عويلاً يصم الآذان، وهم بيد غيرهم كفتا ميزان يعلي هذا تارة ويسفل هذه تارة أخرىٰ، علم ولكن

بالأقوال، وعمل ولكن في غير النافع، وإن ما أصاب هؤلاء هو من جراء تخاذلهم وعدولهم عن الصراط المستقيم الذي شرعه الله تعالى في كتابه، وعلى لسان صفوة خلقه ﷺ.

جهلوا تعاليم الإسلام الحقة، وبهرتهم المدنية الغربية فنظروا إلى كل ما يصدر عن الغرب نظرة إكبار، فأرادوا محاكاته وحبذا لو حاكوه فيما يعلي من شأنهم، أرادوا محاكاته بل حاكوه فعلاً ولكن فيما يئن منه عقلاؤهم»[٤٦].

هذه وثيقة عظيمة حوت من التوجيهات السامية والأفكار الماهرة والتنظيمات الدقيقة ما لم يتأت في أي نظام ديمقراطي أو أي تنظيم برلماني، فقراءة هذه الوثيقة بأي لون من ألوان القراءات دينية أم سياسية أم فكرية.. إلخ، تجعلك تؤخذ بفكر الملك عبدالعزيز الدعوي وإيمانه العميق بالشورى والتمسك بالكتاب والسنة.

الحسبة أم شرطة الآداب

لقد اختص الله سبحانه وتعالىٰ أمة الإسلام بخصائص كثيرة، وقد جعلها خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهىٰ عن المنكر، وقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم وأقوال وأحاديث للرسول ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾(٤٧)، وقال تعالىٰ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾(٤٨)، وقوله ﷺ: «من رأىٰ منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»(٤٩).

وعن أبي الوليد عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «بايعنا رسول الله ﷺ علىٰ السمع والطاعة: في العسر واليسر والمنشط والمكره، وعلىٰ أَثَرَةٍ علينا، وعلىٰ أن لا ننازعَ الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله تعالىٰ فيه برهان، وعلىٰ أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم»(٥٠).

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم»(٥١).

وفي مسألة الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد اهتم الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ بهذا الجانب كجزء من أعمال الدعوة إلى الله بمقتضى ما جاء في الكتاب والسنة، ومرتكزاً أساسياً في الحكم وقد خصص ما كان يسمى بالنواب للقيام بمهمة إرشاد الناس وتوعيتهم إلى الخير وتحذيرهم من الشر؟! وتتلخص سياسته الدعوية، وكيفية التعامل مع الناس على اختلاف أصنافهم وطبقاتهم والتواصي بالحق والمعروف فيقول مخاطباً شعب المملكة العربية السعودية في حفل الاستقبال الذي أقيم بمدينة الطائف في وكالة المالية عام ١٣٥١هـ:

«وإني أوصيكم بتقوى الله، والنظر في حالة وطنكم وبلادكم ورفع أحوال الناس ومظالمهم إليّ؛ لأن الملقى على عاتقي من الأمور عظيم وبعضكم به أبخص، وإني مع كل ذلك أسأل عن أحوال الناس وأتفقد مصالحهم بقدر الجهد والاستطاعة، وإذا ما اطلعت على شيء عينت له هيئة مخصوصة منكم للنظر في ذلك، ثم أشرف على أعمالها بنفسي وأتراجع وإياهم في خصوصها حتى يبت في أمرها بما جاء في كتاب الله، والله ـ يا أهل هذا البلد الطاهر المقدس ـ أرى الكبير فيكم كأبي والوسط كأخي والصغير كابني، وإن

الذي أقوله هو الذي أعتقده والله على ما أقول شهيد.

وإني أرى كثيراً من الناس ينقمون على ابن سعود، والحقيقة ما نقموا علينا إلا لاتباعنا كتاب الله وسنة رسوله، ومنهم من عاب علينا التمسك بالدين وعدم الأخذ بالأعمال «العصرية»، فأما الدين فوالله لا أغير شيئاً مما أنزل الله على لسان رسوله ﷺ، ولا أتبع إلا ما جاء به، وليغضب علينا من شاء وأراد.

وأما «الأمور العصرية» التي تعيننا وتفيدنا ويبيحها دين الإسلام فنحن نأخذها ونعمل بها ونسعى في تعميمها، أما المنافي منها للإسلام فإننا ننبذه ونَسعى جهدنا في مقاومته لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق(٥٢)، ولا مدنية أفضل وأحسن من مدنية الإسلام ولا عز لنا إلا بالتمسك به.

ويجب أن تحرصوا على العمل، والعمل لا يكون إلا بالتساند والتعاضد وإخلاص النية، والإنسان وحده لا يستطيع أن يعمل، وإذا عمل فيكون عمله ضعيفاً، والضعيف ضعيف على كل حال، ونحن نحتاج إلى القوة في كل شيء، وكلنا أمة واحدة عربية، ديننا الإسلام ونبينا محمد ﷺ، والعرب قبلنا عملوا الشيء الكثير، والتاريخ أكبر شاهد، والإسلام يحضنا على العمل ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾(٥٣)، ويجب أن يكون العمل خالصاً لله لا رياء فيه ولا نفاق ولا غش ولا

خداع، وإنكم والله إذا عملتم ذلك فستنجحون، وإن العمل يفيدكم و، يفيد بلادكم وشعبكم ويقربكم من الله ولا يوجد شيء أحسن من هذا.

ويجب أن تنصحوا الجاهل وترشدوه إلى طريق الحق والهدى، فإذا اتبع فالحمد لله، وإذا أبى وعاند فإنما إثمه على نفسه، وإني ـ والله ـ أحب السلم وأسعى إليه، فإذا ما بليت صبرت حتى إذا لم يبق في القوس منزع وحان وقت الدفاع عن الدين والوطن فعلت:

إذا لم تكن إلا الأسنة مركباً فما حيلة المضطر إلا ركوبها

وهنا لا يكون إلا إحدى الحسنيين، إما السعادة وإما الشهادة، وكلاهما نعمة من الله، ونحن نقابل أيهما بصدور رحبة ووجوه باشة، وهذه سنة رسول الله وأصحابه من بعده رضوان الله عليهم.

والناس معنا ثلاثة..

إما محب ومساعد... وإما لا محب ولا مساعد.. وإما معاند فقط..

فأما الأول، فله ما لنا وعليه ما علينا..

وأما الثاني فنسعى جهدنا في إفهامه الطريق الذي نسير عليه، فإذا اتبعنا فالحمد لله، وإذا أبي ﴿ إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾(٥٤).

وأما الثالث . . فهذا ليس له قصد إلا الفساد في الأرض، وهذا جزاؤه ما جاء في الآية الشريفة: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ .

أنتم رؤساء البلاد وقادة الأمة وكبراؤها، وأدرىٰ بما يحسون به وما يشعرون، ويجب عليكم أن ترفعوا إليّ كل ما يتظلمون منه وترشدوني إذا رأيتموني ضللت عن طريق الحق، وإذا لم تفعلوا ذلك فأنتم المسئولون، وإني أطلب منكم ومن غيركم أن من رأىٰ مني شيئاً مخالفا فليوضحه لي وليرشدني إلىٰ طريق الحق وليكن كما قال عمر بن الخطاب لمن أراد أن ينصحه: (فليكن ذلك بيني وبينه) فوالله إذا رأيت الحق أتبعه لأني مسترشد ولست بمستنكف، ومن رأىٰ شيئا وكتمه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

أما المظلمة التي تصلني فإني لا أتركها بل أبحثها وأحقق فيها، والتي لا تصلني فالذنب فيها علىٰ من رأىٰ وكتم، وإذا علمت به فسيكون جزاؤه عندي أعظم من جزاء غيره.

وإني أحثكم على العمل الذي فيه اكتساب معيشتكم، فابذلوا كل ما في وسعكم لذلك، وهذه أرض الله واسعة فاسعوا في مناكبها ولا تركنوا للكسل والخمول فإن عاقبتهما وخيمة.

إن الذي دعاني لجمعكم في هذا المكان هو النصح لكم حتى لا يغتر السفيه بالحلم، ولا يسترسل في غوايته، وأحذركم من أمرين:

الأول: الإلحاد في الدين والخروج عن الإسلام في هذه البلاد المقدسة، فوالله لا أتساهل في هذا الأمر أبداً، ومن رأيت منه زيفاً عن العقيدة الإسلامية فليس له من الجزاء إلا أشده، ومن العقوبة إلا أعظمها.

الثاني: السفهاء الذين يسول لهم الشيطان بعض الأمور المخلة بأمن البلاد وراحتها، فهؤلاء شأني معهم شأن الديناميت مع النار.

الناس أحرار في مآكلهم ومشاربهم ومرازقهم ونزههم، ومن اعتدي عليه فليراجعني لأنصفه، ولو جاءني أي إنسان وقال: إن ولدك فيصل أخذ مالي واعتدى عليَّ، فإن رآني أنصفته منه علم أني أقول وأصدق في القول، وإن رآني أهملته وساعدت ولدي على ظلمه، فعند ذلك يكون له الحق عليَّ.

ولينعم كل إنسان بنعمة الإسلام، وحرية الإسلام، وغير هذا لا نعمة ولا حرية، فمن كان مشارفاً بنظره من قرب أو بعد فليعلم أن الناس لم يتركونا رحمة أو عطفاً، وإنما تركونا لأن الله أراد تأييدنا ونصرنا . .

وقد أتيت بهذا البيان نصيحة لمن قد يغويه إبليس بوسواسه، وإني إذا قلت فعلت، وإذا فعلت أمضيت، ثم لا أبالي بما يكون . .

هذه نصيحتي يبلغها الشاهد منكم الغائب، وليعلم الجميع أني لا أحمل حقدا على أحد إلا على شخصين . . إما رجل ملحد في الدين أو يقصد هذه البلاد بسوء، فمن كان في نفسه شيء من ذلك فلا يأمن عقابي، وقد كنت أريد الإيقاع ببعض من أعلم فيهم ذلك، ولكني منعت نفسي وأحببت تقديم هذا النصح للجميع، وأسأل الله التوفيق لنا في أعمالنا .

وفي الختام . . أوصيكم بتقوى الله واتباع كتابه، والاهتداء بسنة نبيه محمد ﷺ، وأن تعضوا عليها بالنواجذ، وأنتم أهل بلد الله وسكان حرمه الشريف، ويجب أن تتمسكوا بذلك أكثر من غيركم، والله الهادي إلى طريق الرشاد[٥٦]» .

هذه جملة من التوجيهات السامية والتنظيمات الإدارية لمسألة الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي توجها

الملك عبدالعزيز بمقولته الكريمة التي طلب فيها أن يعامل معاملة المسلمين في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، كما كان يفعل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه، ورحم الله ملكنا الأجل رحمة الأبرار.

وتأكيداً لأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتأسيساً على أحكام الشريعة الإسلامية وأهمية ذلك في الدعوة الإسلامية، بيّن الملك عبدالعزيز في المؤتمر الوطني الذي عقد في القصر الملكي بمنى عام ١٣٥٠هجرية حقيقة الحسبة وصلتها بالدعوة الإسلامية فقال:

«والإنسان لا يحب أن يدخل أحد إلى بيته لتفتيشه إلا إذا كان من أهل بيته، وأنتم أهل البيت فدعوناكم للقيام بالمهمة التي ألقيناها على عاتقكم، تنفيذاً لأساس الشرع والسنة. . إن الناس ليس لهم حياة إلا بعناية الله وتوفيقه، وهم غير معذورين في تركهم الاستمساك بما أمر الله به، أو في ارتكاب ما نهى عنه.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[٥٧].

هنا يقرر الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ قاعدة عظيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي عدم التجسس على

الناس وأهمية الستر في الدعوة الإسلامية، كما أشارت إلى ذلك الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

ونشكر الله على أن وفقكم بعنايته وجعلكم خير أمة أخرجت للناس، وبلدكم هذا بلد الله الحرام، فإذا لم نحرم ما حرم الله كانت نقمة الله علينا عظيمة، ثم كان هنالك كذب على الله، لذلك يجب أن ننظر في مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تنفيذاً لأمر الله وحفظاً له[٥٨]».

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾[٥٩].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يستر عبد عبداً في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة»[٦٠].

وفي الحديث أن النبي ﷺ أتي برجل قد شرب الخمر قال: «اضربوه»، قال أبو هريرة: فمنا الضارب بيده، والضارب بنعله، والضارب بثوبه، فلما انصرف قال بعض القوم: أخزاك الله، قال: «لا تقولوا هكذا لا تعينوا عليه الشيطان»[٦١].

وشرطة الآداب لئن كانت تعمل على مكافحة الجرائم الأخلاقية فإن تنظيمها وعملها لا يقوم أولاً على مرجعية سماوية إلهية، وكذا فهي لا تنتهج الحكم بما أنزل الله، وحصيلة عملها ليس له ثمار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

العلم أمانة وإيمان

ما من شك في أن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة والعلماء ورثة الأنبياء، ولقد أثنى الله سبحانه وتعالى على العلم والتعليم فقال جل جلاله: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾(٦٢)، لقد ساوى الله سبحانه وتعالى بين المؤمن الموحد وبين العالم العامل، العالم بشريعة الله وحكمه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾(٦٣)، وقال رسول الله ﷺ: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة»(٦٤)، وقال عليه الصلاة والسلام: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالماً أو متعلما»(٦٥).

ومعلوم عن مسيرة الملك عبدالعزيز في مملكته أنه كان يهتم بالعلم والعلماء، ويحتفي بهم ويقربهم إليه ويتشاور معهم ويتناصح معهم فيما يحقق المصلحة للإسلام والمسلمين، وكان يهتم بطباعة الكتب وشرائها وإهدائها للعلماء وطلاب العلم، وهذا معلوم لدى كثير من الناس، ويتبين ذلك في الكلمة التوجيهية التي ألقاها الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ في جموع الخريجين من المعهد العلمي السعودي في مكة المكرمة في شهر صفر عام ١٣٥٠هـ حيث قال: «أيها الأبناء.. إنكم أول ثمرة

من غرسنا الذي غرسناه بالمعهد، فاعرفوا قدر ما تلقيتموه من العلم، واعلموا أن العلم بلا عمل كشجرة بلا ثمر، وأن العلم كما يكون عوناً لصاحبه يكون عوناً عليه. .

فمن عمل به يكون عوناً له، ومن لم يعمل به يكون عوناً عليه، وليس من يعلم كمن لا يعلم، قليل من العلم يبارَك فيه خير من كثير لا يبارَك فيه، والبركة في العمل.

من الناس ـ وكثير هم ـ من يعجب قوله فيأخذ بالسامع بزخرف القول إلىٰ حد بعيد، ويأتي في حديثه بأساليب تسحر، مصوغة في قالب يبهر العقول، وفي الجرائد اليومية والمجلات الشهرية شيء كثير مَن ذلك، وفي الصحف السيارة ما يصور للقارئ أن قسماً من الناس قطع في مضمار العلوم، ولا سيما الكونية منها، شوطاً بعيداً، لو حاولتم الوصول إليه في عشرات السنين لما وصلتم نصف المرحلة التي قطعوها، ولكن ماذا كان وراء هذا العلم الوفير؟ لا ترىٰ إلا أحزاباً يضرب بعضها بعضاً، ولا تسمع إلا عويلاً يصم الآذان، وهم بيد غيرهم كفتا ميزان يعلي هذا تارة ويسفل هذه تارة أخرىٰ، علم ولكن بالأقوال، وعمل ولكن في غير النافع، وإن ما أصاب هؤلاء هو من جراء تخاذلهم وعدولهم عن الصراط المستقيم الذي شرحه الله تعالىٰ في كتابه، وعلىٰ لسان صفوة خلقه ﷺ.

جهلوا تعاليم الإسلام الحقة، وبهرتهم المدنية الغربية فنظروا إلى كل ما يصدر عن الغرب نظرة إكبار، فأرادوا محاكاته وحبذا لو حاكوه فيما يعلي من شأنهم، أرادوا محاكاته ـ بل حاكوه فعلاً ـ ولكن فيما يئن منه عقلاؤهم.

بعث صفوة الخلق، اللهم صل وسلم عليه، من العرب، ونزل عليه أمين السماء في بلاد العرب، بقرآن عربي غير ذي عوج، فلنعرف ذلك ولنحتفظ بديننا ولغتنا وبلادنا، ولنحبها حباً جماً.

لا مانع من أن نأخذ من غيرنا المفيد، فالحكمة ضالة المؤمن، يلتقطها حيث وجدها، وقد كان للعرب في جاهليتها خصال حميدة، وكان لغيرهم أيضا، فجاء الإسلام فأقرها.

قال صفوة الخلق، اللهم صل وسلم عليه: (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[٦٦]. . . ، حافظوا على تعاليم دينكم، ولا شك أنكم قرأتم، ولله الحمد والمنّة، شيئاً كثيرا منها، أرجو من الله أن ينفعنا وإياكم به، وأقول لكم: والله ثم والله ثم والله، ما حرمت الشريعة شيئاً فيه نفعنا، ولا أحلت شيئاً فيه ضرنا، وإن النظرة السليمة لتدرك ذلك. .

اعلموا أن الناس لو كانوا جميعاً على قلب أكفر رجل لما ضروا الله شيئاً، ولو كانوا على قلب أتقى رجل لما نفعوا الله شيئاً، إن الله لغني عن العالمين.[٦٧]».

الإسلام حِكَمٌ وسَلَمٌ

قضت حكمة الله سبحانه وتعالى منذ أن أهبط جل وعلا آدم عليه السلام على الأرض أن تكون هناك صراعات وخصومات ومقارعات، فهذه حياة الإنسان في الحياة الدنيا، الصراع الدائم بين الحق والباطل، قال تعالى: ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾(٦٨). وقال جل وعلا: ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ. الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾(٦٩). وقال رسول الله ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله، كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه، التقوى ههنا، بحسب امرئٍ من الشر أن يحتقر أخاه المسلم»(٧٠).

لقد اتخذ الملك عبدالعزيز من الإسلام درعاً حصيناً في التعامل مع المواقف والأحداث السياسية، جانحاً للسلم دافعاً للحرب عن نفسه وبلاده، حقناً للدماء وحفظاً للأموال والأرواح وبقاء لحرمة الإنسان وحقوق الإنسان، خصوصاً مع

العرب والمسلمين، وفي الخطاب الذي ألقاه الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - في جموع كبار الحجاج في موسم الحج في السادس من شهر ذي الحجة لعام ١٣٥٠هـ أوضح فيه كافة الملابسات التي تحيط بالموقف السياسي آنذاك، وكشف أسباب الشائعات المغرضة التي كان خصومه يروجونها في دول العالم، فكما رد الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - الشبهات الدينية والشرعية في مسألة العقيدة والشريعة والادعاء بأن المملكة لها مذهب ديني خاص يسمى الوهابية، فإن الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - وبحكمة الداعية والسياسي الماهر تحدث في هذا الشأن وقال:

«تولينا الحجاز، فقام الناس بين شامت وناقم ومحب وناصح.. وإخواننا المسلمون نقبل منهم كل أمر فيه مناصحة على شرط أن يكون في الحق، ومسألتان لا يمكن أن نقبلهما ولو قاتلنا أهل الأرض حتى لا يبقى فينا أحد: التغيير في دين الله ولو مثقال خردلة؟ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فالكتاب والسنة لا نحيد عنهما أبدا والثانية: أن أي أمر يلحق استقلال أو شرف بلادنا فهذا مستحيل أن نقبله، ولو تكلم من تكلم أو قال من قال، والحقائق مبثوثة ومعلومة، وهذا هو الذي يلزمنا ديناً ودنيا.

كثيراً ما يقول بعض الناس: ليش ما يحط ابن سعود جمعيات ودعاية ضد الإنجليز والمسكوف أو الطليان أو غيرهم ويدافع عن المسلمين؟ فأحب أن أكشف هذه الشبهة وأبين الحقيقة فيها. .

أنا لست من رجال القول الذين يرمون اللفظ بغير حساب، أنا رجل عمل إذا قلت فعلت، وعيب عليَّ في ديني وشرفي أن أقول قولاً لا أتبعه بالعمل، وهذا شيء ما اعتدت عليه ولا أحب أن أتعوده أبداً. . .

ماذا يريد الناس مني؟ . . يريدون أن أقول وأتكلم ثم يهمل جوابي وأسكت؟ . . وأي فائدة في القول الذي لا يعقبه فعل؟ . . . إنه أمر ما اعتدته ولم يعتده قومي معي. . أنا لا أقول لصاحب «أم القرى» أو غيره: قل وتكلم على فلان، وفلان وإنما آمر بالسكوت إلى وقت الفعل فإذا فعلنا تكلمنا.

سكتنا من قبل ومن بعد لأننا كنا في ريبة من أمر الناس، وأريد «بالناس» أكثر الذين يدعون الإسلام، وهؤلاء هم الذين أخشى شرهم وأراقبهم قبل غيرهم:

تجاف عن العتبى فما الذنب واحد
وهب لصروف الدهر ما أنت واجد
إذا خانك الأدنى الذي أنت حزبه
فواعجبا إن سالمتك الأباعد

إنهم إذا أرادوا التكلم عن نصراني تأدبوا وأحسنوا الرد، ولكن إذا تكلموا عن المسلمين رموهم بالبهتان كأنهم أعداء لهم... يقولون: «ابن سعود قال كذا».. و«فعل كذا».. وكله زور.. لماذا كل هذا؟.. هنا رجال نقموا منا لما أعطانا الله إياه، فسوّل لهم الشيطان من الوسواس الشيء الكثير، ولم أر أحداً من أولئك دافع عني ولا مدافعة واحدة، بعضهم منعوا عن الحرمين الصدقات والأوقاف وأخذوا يمنعون الناس عن حج بيت الله.. كله لأجل ابن سعود... فما هو العمل الذي عمله ابن سعود؟.. هل نصب ابن سعود صنماً يعبده من دون الله؟.. هل أباح الخمور؟.. هل أباح الزنا والفجور؟.. هل ترك ابن سعود الأشرار يفسدون في الأرض؟.. أم ماذا صنع ابن سعود مما ينكره الشرع وتأباه المروءة العربية؟..

ثم... أتعرفون ما دمر الدين وأكثر الفتن بين المسلمين؟.. لم يكن ذلك إلا من اختلاف المسلمين وعدم اتفاق كلمتهم.. وإذا أعدنا النظر إلى أيام الإسلام الأولى وما افتتحوا من أقطار وما كسروا من أصنام وما نالوا من خير عميم.. نجد هذا كله ما حصل إلا باجتماع الكلمة على الدين والإخلاص في العمل والخلوص في النية..

المسلمون من الله عليهم بالإسلام واجتماع الكلمة، ولكن

لما تفرقوا انخذلوا وسلط الله أعداءهم عليهم، وإذا رجع المسلمون إلى تعاضدهم وتكاتفهم رجع إليهم عزهم ومجدهم السالف، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ والقضاء كائن لا محالة. ولما تناصح المسلمون بلغوا أوج السماك، ولما تخالفوا كانوا بهذا الشكل الذي نأسف عليه، والنفس أمارة بالسوء، ولربما أن أحد الناس عرف ذلك وضيعه، والثاني عرف الدين وعمل به وعلم الله ما بقلبه فجعل العقبى خيراً له.

المسلمون اليوم قائمون من نوم وغفلة، فيجب عليهم أخذ سلاحهم، والسلاح سلاحان.. أما سلاح العدة من طيارات وما إليها، فهذا ما لا يستطيع المسلمون أن يستحوذوا على مقادير منها بقدر ما استحوذ عليه أعداؤهم إلا أن يشاء الله. أما السلاح الثاني ـ وهو الأعظم ـ فالذي أوصي به نفسي وأوصيكم به، هو التقوى والاعتصام بحبل الله جميعاً، فإذا عملتم ذلك نلتم العزة في الدنيا والعفو في الآخرة ورحمة الله». (٧١)

وتأسيساً على القواعد الإيمانية والأسس، الإسلامية فإن الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ وبضوح وجلاء، يتحدث عن أهمية السلام والمسالمة بما يمليه الشرع الإسلامي في الكتاب

والسنة، وبما تقتضيه مصلحة عمارة الأرض وإقامة الحق والعدل، ولم تكن في نفس ذلك الملك ذرة كبر حتى يزكي نفسه على الآخرين، بل إن إيمانه وصدق الدعوة إلى الله والاعتراف بأنه إنسان من البشر يقول في موسم حج عام ١٣٥٢هـ لضيوف الرحمن عما يشاع من خلافات بينه وبين بعض دول الجوار:

«أشكر الحق جل وعلا على أن أتاح لنا هذا الاجتماع بوفود بيت الله الحرام، الذين جاؤوا لأداء فريضة الحج التي هي ركن من أركان الدين، ومن أهم غايات هذه الاجتماعات ـ ولا ريب ـ التعارف والتناصح بين المسلمين..

والتناصح لا يكون إلا بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، وقد قال رسول الله ﷺ: (الدين النصيحة، قالوا: لمن يا رسول الله؟.. قلنا: لله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم)(٧٢).

أنا لا أبرئ نفسي فذنوبي كثيرة، أرجو من الله الرحمة والغفران،. وإنما غاية ما أرجوه أن أكون صادقاً في القول والعمل، وفي الباطن والظاهر، وأنا وإن كنت ملكاً لكنني أوقفت نفسي وعملي على ثلاث مسائل:

١ـ إنني أعمل ما فيه الخير والصلاح لديني إن شاء الله.

٢ـ ليس لي رغبة في معاداة أحد من المسلمين صغيراً أو كبيراً.

٣ـ أنا لا أحب الاعتداء على أي كان، وجل غايتي في كل وقت الدفاع عن ديني وشرفي وبلادي، وأشهد الله في هذا الشهر المبارك على أنني أتمنى وأسعى للائتلاف والتصافي في كل وقت وآن. .

لقد حكمت هذه البلاد حكومات قوية ذاتَ طوْل وَحوْل قبلنا، ولكنها لم تقدر على تأمين الطرق بين مكة وجدة فضلاً عن بقية الأماكن والطرقات، أما اليوم فإن الأمن سائد في طول البلاد وعرضها، قد لمستموه بأيديكم وشاهدتموه بأعينكم، وهذا من فضل ربي علينا، ونحن لا نقول هذا للافتخار وإنما للإشارة إلى أننا ـ أسرتي وشعبي ـ جند من جنود الله نسعى لخير المسلمين، ولتأمين راحة الوافدين إلى بيت الله الحرام وأداء مناسكهم، وكما قال الله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ . . . رابطة الإسلام جامعة قوية ولكن المسلمين فرقهم التخاذل فتفرقوا شيعاً. .»[٧٣].

هكذا تكلم الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ وبين حكمته السياسية وطلبه للسلم والأمن وكيف استتب الأمن في ربوع مملكته، وهو ما تنعم به المملكة العربية السعودية حتى يومنا هذا

في ظل القيادة الحكيمة من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ابن عبدالعزيز آل سعود يحفظه الله.

واستمراراً لبيان حقيقة الرغبة في السلم، خصوصاً في مسألة الخلاف الذي حصل بين المملكة العربية السعودية واليمن يقول الملك عبدالعزيز يرحمه الله:

«والحقيقة أن هذا أمر يهم المسلمين وكل من في قلبه خردلة من إيمان يتمنى أن يعتصم المسلمون بحبل الله وأن يتركوا المشاحنات فيما بينهم، ولكن لكل أمر حقيقة يجب أن تبين وتوضح..

فالإمام يحيى - أسأل الله أن يوفقنا وإياه إلى الخير - أعده أكبر أصدقائي وأقربهم إلى وأحترمه في جميع الحالات، وقد عملت معه جميع الأعمال الطيبة التي يعلمها الله وهو مطلع عليها، محبة في جمع كلمة المسلمين والعرب، والتي أرى فيها صلاحاً لي وصلاحاً له.. ولكن - مع الأسف - خرجنا كما قال الشاعر:

تجاف عن العتبي فما الذنب واحد

وهب لصروف الدهر ما أنت واجد

إذا خانك الأدنى الذي أنت حزبه

فواعجباً إن سالمتك الأباعد

إني أعلم أن هذه القضية تهم المسلمين والعرب، وقد عملت كل ما من شأنه أن يحقق أمانيهم، وقمت بأعمال أضرتني حرصاً على السلم ورغبة فيه، ولكن ماذا عمل العرب والمسلمون وماذا كانت نتيجة تمنياتهم لدى يحيى؟ . . أما أنا فأشهد الله وأشهد ملائكته أني ما أحب إلا الصلاح والسلام، أما الدفاع عن حدودي وعن شيمتي فهذا من موجبات الشرف، وآخر ما كان من الجهود التي بذلت في سبيل السلام هو صبري على أعمال يحيي الأخيرة إلى اليوم، ولقد كتبت له أخيراً أنني أمرت جندي بالتقدم فإن أراد العافية فليس له إلا إبعاد الإدريسي عن الحدود إلى المكان الذي اتفقنا عليه وإعادة بلادي التي دخلها، فإن قبل فالحمد لله، وإن لم يقبل فلا حول ولا قوة إلا بالله. هذه حقيقة الحال ونسأل الله التوفيق»(٧٤).

هكذا عرف الملك عبدالعزيز من خلال الدعوة الإسلامية أهمية السلم والسلام عملاً بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾(٧٥).

التضامن الإسلامي

لقد خاطب الله تعالىٰ عباده المسلمين علىٰ أنهم أمة واحدة، فلم يخص شعباً دون شعب ولا بلداً دون بلد، وإنما كان الخطاب عاماً للأمة الإسلامية جمعاء، وكان التكليف بالتضامن شاملاً لكل المسلمين، ووردت آيات كثيرة في القرآن الكريم وأحاديث نبوية متعددة تحث علىٰ الإخاء والتضامن، وهو الأمر الذي استقر في أعماق ضمير كل مسلم، حتىٰ إذا ما بدت أية مبادرة لأي نوع من أنواع التضامن الإسلامي أعلن تأييده لها من منطلق يقينه بأن التضامن هو مشروع بالأمر الإلهي، وأن التباعد والفرقة حالة شاذة يجب القضاء عليها بكل ما يملك المسلمون من قوة.

وفيما بين فترتي الحربين العالميتين الأولىٰ والثانية كلل الله تعالىٰ بالنصر جهاد مؤسس المملكة العربية السعودية الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود ـ يرحمه الله ـ فاستتب له الأمر في معظم أرجاء شبه الجزيرة العربية، مابين البحر الأحمر غرباً والخليج العربي شرقاً، وكان من أهم الإنجازات التي حققها الملك عبدالعزيز للأمة الإسلامية ـ ولا سيما أن معظم الأقطار الإسلامية كانت تجاهد محلياً المستعمرين لإخراجهم

من ديارها ـ دعوته ـ يرحمه الله ـ إلى عقد أول مؤتمر إسلامي في تاريخ الإسلام الحديث، وكانت غايته التباحث في شؤون المسلمين، ووضع الخطط لاستنهاض همم أبناء الأمة الإسلامية للتضامن والتكاتف.

ثم عقدت في عهده ـ يرحمه الله ـ اجتماعات عديدة، كاجتماع القدس عام ١٣٥٠هـ (١٩٣١م)، واجتماعي كراتشي عام ١٣٦٨هـ (١٩٤٩م)، و١٣٧٠هـ (١٩٥١م)، واجتماع بغداد عام ١٣٨١هـ (١٩٦٢م)، وغيرها.

على أن دعوة التضامن الإسلامي كانت حتى ذلك الحين، في حاجة إلى توحيد كلمة المسلمين من خلال مؤتمر للقمة يضم ملوكهم، وأمراءهم ورؤساءهم وقادتهم، فتكون قراراتهم بحكم مراكزهم جزءاً من سياسة دولتهم، مما يظهر العالم الإسلامي كله وحدة دولية واحدة، متماسكة ومتضامنة من القمة إلى القاعدة.

وفيما يتعلق بالمملكة العربية السعودية، فقد كانت منذ نشأتها داعية إلى دين الله وتضامن المسلمين، ومازالت تدعم كل جهد إسلامي جماعي فيه وحدة الكلمة والموقف، لا تنشد من ذلك سوى وجه الله تعالى وخدمة دينه القويم.

بدأت تلك السياسة في عهد الملك، المؤسس عبدالعزيز بن

عبدالرحمن آل سعود ـ يرحمه الله ـ واستمر عليها أبناؤه الذين خلفوه على هذه المسؤولية . ففي عهد الملك سعود ـ يرحمه الله ـ كان إنشاء رابطة العالم الإسلامي ، وفي عهد الملك فيصل ـ يرحمه الله ـ كان تجديد الدعوة من خلال مفهوم شامل يتناسب مع طبيعة الإسلام باعتباره ديناً للحياة الدنيا والآخرة ، بدءاً من تضامن المسلمين جميعاً في موقف واحد ، به تشتد سواعدهم ، فيشكلون قوة عالمية يحسب لها حساب فأنشئت منظمة المؤتمر الإسلامي وما تفرع عنها من مؤسسات . ولقد ركز الملك فيصل ـ رحمه الله ـ على ضرورة عقد مؤتمر إسلامي يضم ملوك وأمراء ورؤساء وقادة الدول الإسلامية منطلقاً يهدف إلى بلورة مبدأ التضامن الإسلامي ، حقيقة أساسية من حقائق العصر .

ولم يكن هناك بدٌّ من أن تلقى هذه الدعوة معارضة عنيفة من أعداء الإسلام الثلاثة ـ الاستعمار والصهيونية والشيوعية ـ فراحوا يطلقون على دعوة التضامن الإسلامي اسم (الحلف الإسلامي) وما أشبه ذلك ، بمحاولة تصويرها على أنها حركة (سياسية) عادية ، بينما هذا التضامن في حقيقته هو أمر الله تعالى ودعوة رسوله ﷺ ، وله في الإسلام مفاهيم وأحكام .

وبلغ تآمر أعداء الأمة الإسلامية ذروته في العدوان الإسرائيلي الذي وقع سنة ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧ م ضد مصر

وسوريا والأردن، فكانت فاجعة هذا العدوان نذيراً جديداً للأمة الإسلامية بضرورة التضامن والتكاتف.

وفي جمادىٰ الآخرة من عام ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م ارتكب العدو الإسرائيلي جريمته النكراء بمحاولة إحراق المسجد الأقصىٰ في القدس، وهو الأمر الذي كان له رد فعل شديد لدىٰ العالم الإسلامي، فجدد الملك فيصل دعوته إلىٰ عقد مؤتمر قمة إسلامي، ولبّت بعض الدول الإسلامية الدعوة واجتمع ممثلو أربع عشرة دولة إسلامية في القاهرة بعد أيام من العدوان علىٰ المسجد الأقصىٰ المبارك، وأيد الوزراء الاقتراح السعودي بعقد مؤتمر قمة إسلامي، وتأليف لجنة تحضيرية اجتمعت في الرباط بعد أقل من شهر من محاولة إحراق أولىٰ القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، وهكذا عقد أول مؤتمر قمة إسلامي شامل في الرباط بالمملكة المغربية ٩ ـ ١٢ رجب ١٣٨٩هـ ١١ ـ ٢٥ سبتمبر ١٩٦٩م. وعقد مؤتمر القمة الإسلامي الثاني في محرم عام ١٣٩٤هـ ـ فبراير ١٩٧٤م بمدينة لاهور في باكستان.

وفي عهد الملك خالد ـ يرحمه الله ـ تميز كذلك بدعم التضامن الإسلامي والتركيز علىٰ المشروعات التنموية في الدول الإسلامية الفقيرة في آسيا وأفريقيا وبقية دول العالم

الثالث، ودعم مناشط المنظمات الإسلامية المختصة.

كما عقد في عهده مؤتمر القمة الإسلامي الثالث بمكة المكرمة والطائف في ١٩ ربيع الأول ١٤٠١هـ ـ يناير ١٩٨١م، وقد تميز هذا المؤتمر بانعقاده على أرض مهبط الوحي، ومنطلق الرسالة الإسلامية، في رحاب الحرم المكي الشريف، أمام الكعبة المشرفة، إذ اجتمع ـ لأول مرة في تاريخ الإسلام ـ ملوك وأمراء ورؤساء وقادة الدول الإسلامية، في أروع صورة عبرت عن تضامن المسلمين ووحدتهم وتكاتفهم، وافتتحه الملك خالد بن عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ ورأس جلسته الأولى التي عقدت في الطائف، ثم أناب عنه في رئاسة جلسات المؤتمر ولي العهد آنذاك خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز ـ يحفظه الله ـ. وقد تميز هذا المؤتمر بعدد من الإجراءات التنظيمية، ومنها قرار بعقد مؤتمر القمة الإسلامي مرة كل ثلاث سنوات بصورة دورية، كما أسفر عن إعلان وثيقة تاريخية بعنوان: (بلاغ مكة المكرمة) تعد بمثابة خطة عمل دائمة للدول الإسلامية في تضامنها وتكاتفها والتزامها بمسؤولياتها تجاه مختلف القضايا الإسلامية.

أما عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود فقد شهد أكبر تحول في مفهوم التضامن الإسلامي نحو واقع ملموس متعدد الجوانب لتعزيز التضامن الإسلامي

وترسيخه، تمثل في منجزات ومؤسسات، فقد تم في عهده إنجاز أكبر توسعة للحرمين الشريفين في تاريخ المسلمين، كما أنشأ ـ حفظه الله ـ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة الذي زود المسلمين في كافة أنحاء المعمورة بملايين من نسخ القرآن الكريم، وترجمة معانيه إلى عدد من لغات المسلمين إسهاماً في ربطهم بدينهم ودستور أمتهم. وفي عهده الميمون تم إنشاء عدد من المؤسسات الإسلامية التي كان هدفها الأساس ـ بالإضافة إلى الدعوة إلى الله ـ مساعدة المسلمين في أنحاء العالم، ومد الجسور معهم. وهذه المؤسسات هي:

١ ـ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية الذي يرأسه صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام.

٢ ـ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد لخدمة العمل الإسلامي في الداخل والخارج على السواء.

وخلال الزمن الذي انقضى ما بين مؤتمر القمة الإسلامي الأول الذي عقد عام ١٣٤٥هـ في عهد الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ وعهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود سارت المملكة بخطوات حثيثة على طريق

تعميق أسس تضامنها وتعاونها في كافة المجالات، وباتت (الأمة الإسلامية) لدى الأوساط الدولية ممثلة للمسلمين جميعاً، وبات الأمل الذي راود أذهان قادة المسلمين وعلمائهم ومفكريهم ردحاً طويلاً من الزمن ـ واقعاً يمثل ـ (منظمة المؤتمر الإسلامي) ذروته، وتتفرع عنه منظمات ومؤسسات إسلامية مشتركة تجمع المسلمين في مختلف مناحي الحياة.

وكان للملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ نظر ثاقب في أهمية جمع كلمة المسلمين وتضامنهم، ففي افتتاح المؤتمر الإسلامي الأول الذي دعا إلى عقده ـ يرحمه الله ـ وكان ذلك عام ١٣٤٥هـ قال:

«أدعوكم إلى الائتمار والتشاور في كل ما ترون، من المصالح الدينية، والعمرانية، والنظم، التي يطمئن بها العالم الإسلامي، بإقامة شرع الله والتزام أحكامه، وآداب دينه، في مهد الإسلام، ومهبط الوحي، وتطهيره من البدع والخرافات، والفواحش، والمنكرات، التي كانت فاشية فيه، بدون نكير، وباستقلاله المطلق، وسلامته من كل نفوذ أجنبي، وإلى تدارك كل ما قصر فيه من قبلنا من المسلمين، بتركهم وطنهم ودينهم، الذي بزغ منه نور الهدى والعرفان في ظلمات حالكة من الجهل، وفساد الأخلاق، والآداب، وأدعوكم إلى النظر في وسيلة لجعل حرم الله، وحرم رسوله أرقى معاهد العلوم علماً

وعرفاناً، وخير معاهد التربية تهذيباً وأدباً، وأكمل بلاد الله صحةً ونظافةً، وأولى البلاد الإسلامية بإحياء دعوة الإسلام»[٧٦].

إن كلمة الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ تؤكد أهمية وحدة كلمة المسلمين في إصلاح أمور الدنيا والدين وتحقيق الكثير من المصالح، وأهمها العناية بإقامة الشريعة الإسلامية، والاهتمام بالعلوم والآداب الإسلامية، ورعاية الحرمين الشريفين. ولقد كان لهذه الكلمة آثارها التي قطفها المسلمون مما سعى إليها ملوك المملكة العربية السعودية لتحقيق التضامن الإسلامي وخدمة الإسلام والعناية بالمشاعر المقدسة والحرمين الشريفين، مما هو محسوس وملموس في هذه الذكرى المئوية.

وفي موسم حج عام ١٣٥٣هـ خلال الحفل الملكي الذي أقامه الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ لكبار الحجاج، تحدث ـ يرحمه الله ـ عن أهمية التضامن الإسلامي قائلاً:

«أنا في غنى عن التنويه بعظمة هذا اليوم، فإن الله سبحانه وتعالى قد جعل اجتماع المسلمين فيه لأداء فريضة الحج الذي هو ركن من أركان الإسلام من جهة، وللتعارف والتآلف من جهة ثانية.

وقد هدانا الله جل شأنه إلى الصراط السوي في معاشي الدنيا والآخرة، فقال في كتابه العزيز: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ

جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾(٧٧)، فالاعتصام بحبل الله واجب على كل فرد من أفراد المسلمين، لأن العز كله والخير كله بذلك، فإذا نحن حدنا عن هذا السبيل خسرنا الدنيا والآخرة.

أما نحن، فتعرفون ـ يا إخوان ـ سيرتنا.. وليس لنا من المقاصد والغايات إلا أن تكون كلمة الله هي العليا.. نحن سرنا في الجادة ولم يكن عندنا مال ولا رجال... نحن أهل بادية.. وإن ما ترونه اليوم لم يكن إلا من بركة الله تعالى، ونحن نعاهد الله ونقسم أمامكم على ذلك، وإننا لن نتنكب عن الطريق السوي مهما تحملنا من المتاعب والمشاق... فإن الذي يجمع شملنا ويوحد بيننا هو أمر صغير في حد ذاته ولكنه كبير وعظيم، وهو الالتفاف حول كلمة التوحيد والعمل بما أمر الله ورسوله.

إن أحب الأمور إلينا أن يجمع الله كلمة المسلمين فيؤلف بين قلوبهم، ثم بعد ذلك أن يجمع كلمة العرب فيوحد غاياتهم ومقاصدهم ليسيروا في طريق واحد يوردهم موارد الخير، وإذا نحن أردنا ذلك فلسنا نروم إتمامه في ساعة واحدة؛ لأن ذلك يكون مطلباً مستحيلاً، كما أننا لا نرمي من وراء ذلك إلى التحكم بالناس، وإنما غايتنا أنه إذا لم يكن لنا من وراء هذا التضامن خير فلا يكون لنا من ورائه شر على الأقل.

يجب أن يعتبر المسلمون من حالهم اليوم، فإنهم لم يصلوا إلى ما هم عليه الآن إلا من كثرة أقوالهم وعدم أعمالهم.. إن

العمل هو أساس النجاح . . إن العقيدة الصحيحة هي أساس الفلاح . . يجب على المسلمين عموماً، والعرب خصوصاً أن يتدبروا الموقف ويرجعوا إلى ربهم ويحذروا مكره، فإنه ـ جل وعلا ـ مدح مكره فقال: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ .

يجب على المسلمين أن يقلعوا عما هم فيه، فإذا فعلوا فيسغفر الله لهم . . . لقد غفر الله من أعمال عمر في الجاهلية حتى غدا الفاروق في الإسلام، وغفر لخالد بن الوليد حتى أصبح سيف الله في أرضه، إن العبرة بالنية الصادقة، فإذا صدق المسلمون في نيتهم فبشرهم برحمة من الله وفضل .

إنني أدعو المسلمين إلى الاعتصام بحبل الله والتمسك بسنه رسوله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (٧٨)» .

هذه هي مضامين وأهداف وغاية التضامن الإسلام عند قادة المملكة العربية السعودية التي جعلت أرضها مراكز لمؤسسات العمل الإسلامي وتضامن المسلمين، ففيها منظمة المؤتمر الإسلامي، ورابطة العالم الإسلامي، والندوة العالمية للشباب الإسلامي . . . إلخ .

مجلس الملك والرعية

الإسلام بكفتي العدل بيّن للحاكم والمحكوم واجبات وحقوق كل طرف، ففي الوقت الذي تأمر الشريعة ولاة الأمور بالعدل والقسط والإحسان والنصح للرعية، فإنها ـ أي الشريعة ـ أوجبت على عامة المسلمين طاعة ولاة الأمر في غير معصية الله والنصح لهم. . قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾[٧٩] ، وقوله جل شأنه: ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[٨٠]، وقال ﷺ: «ما من أمير يلي أمور المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح لهم إلا لم يدخل معهم الجنة»[٨١]، وقال ﷺ: «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به»[٨٢]، ويروى عنه ﷺ أنه قال: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا»[٨٣]، وجاء في حق الرعية قوله جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[٨٤]، وقوله ﷺ: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»[٨٥]، وقال المصطفى عليه الصلاة والسلام: «عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك»[٨٦].

ولعلنا نتلمس ورود هذه المعاني الشرعية في أقوال الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ وفي أفعاله حيث يستحضر أوامر الشريعة الإسلامية ووجوب العمل بها كونه راعياً لشعب ائتمنه الله عليه وولاه أمرهم، وقد تحدث في هذا الشأن خلال الحفل الذي أقيم على شرفه بمناسبة سفره إلى الرياض عام ١٣٥٥هـ يقول فيه:

«إن ارتحالنا ليس هو لبلد دون بلد، ولا لشعب دون شعب، ولا لشخص دون شخص، إنما هو للمصلحة العامة التي نبذل في سبيلها النفس والنفيس..

إن هذا الشعب عظيم علينا من وجوه كثيرة.. أهمها جوارهم بيت الله الحرام، وحبهم لنا، والذي أوصي به هذا الشعب هو الاعتصام بحبل الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾(٨٧)...

كما أوصيه بالتناصح.. فإن الدين النصيحة، والنصيحة واجبة للبار والفاجر، والكبير والصغير، والغني والفقير، لا لنفر دون آخر، ولا لشعب دون غيره... إن النصيحة واجبة للعالم أجمع.

إن على الشعب واجبات وعلى ولاة الأمور واجبات.. أما

واجبات الشعب فهي الاستقامة، ومراعاة ما يرضي الله ورسوله ويصلح حالهم، والتآلف والتآزر مع حكومتهم للعمل فيما فيه رقي بلدهم وأمتهم.

إن خدمة الشعب واجبة علينا، لهذا فنحن نخدمه بعيوننا وقلوبنا، ونرىٰ أن من لا يخدم شعبه ويخلص له فهو ناقص. .

شعبنا العرب، فنحن من العرب وإليهم، وخدمة الإسلام والعرب واجبة علينا بصفة عامة، وخدمة شعبنا واجبة علينا بصفة خاصة، ولا بد أنكم سمعتم أننا ألزمنا ولاة الأمور بالنظر في شؤون الرعية وجعلناها أمانة في أعناقهم، فعليهم أن يقوموا بالواجب والنصح للشعب، وأن يجتهدوا في تخليص ما عليهم من حقوق وما لهم من واجبات[٨٨]».

إننا ننظر إلىٰ المعاني والقيم الإسلامية التي تحملها كلمات الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ واهتمامه بشعبه، وأنه لا فرق بين أحد من شعبه في أي منطقة من مناطق المملكة العربية السعودية الشاسعة. ويستطرد ـ يرحمه الله ـ لبيان المهمة الشرعية والإسلامية علىٰ ولاة الأمر والقضاة وحق الشعب في ذلك وواجبات الشعب إزاءه فيقول:

«أما واجبات الولاة. . ولاة الأمور. . فهي أن يقوموا بالواجب عليهم نحو شعبهم وينصحوهم ويخدموهم ويقوموا

بكل ما فيه مصلحة المسلمين وفائدتهم .

وإن أكبر أمانة وأعظمها في عنق المحاكم الشرعية . . فعليهم النظر في شئون العباد بما شرع الله لنا في كتابه من شرائع ، وبين لنا من حجج ، وأقام لنا من محجة ، قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾(٨٩) . . وقال : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾(٩٠) . . ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾(٩١) . . . ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾(٩٢) ، وقال : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾(٩٣) .

هذه هي الحقيقة ، لأن شريعة الله لا ظلم فيها ، وهي المحجة ، من اعتصم بها نجا ، ومن شذ عنها هلك . .

فيجب على ولاة الشريعة أن يجتهدوا في أداء الواجب ويسهروا على مصالح الناس وينظروا في خصوماتهم بروح العدل والإنصاف ، وعلى الشعب أن يمتثل لأمر الله . فمن حكم له حمد الله ، ومن حكم عليه حمده ، الأول يحمده لأخذه حقه والثاني يحمده لأنه عصمه من أخذ حق غيره .

وأوصي الشعب أن يقلل من الخصومات والمنافسات ، لأن الخصومات والمنافسات تؤذي الحكومة والمحاكم الشرعية

وكثرتها توجد اختلافاً في صفوف الأمة، وإن إنساناً تكثر مطالبه ومرافعاته وإزعاج حكامه وعلمائه، لا لحق بيِّن، وإنما به نزعة من نزعات الشيطان، والشيطان يسعى للتفرقة، فعلينا ألا نساعده ولا نتركه يفرق بين المسلمين.. إن من الناس من يصيح «أنا مظلوم» وإذا بحثت ظلامته التي يدعيها لا تجد فيها من الحق شيئاً، لهذا أوصيكم بالتناصح فيما بينكم وأنهى أمثال هذا عن ذلك»(٩٤).

وعن تقارب القمة مع القاعدة والراعي مع الرعية والتحام الطرفين تلاحم مودة ومحبة، يعبر عن ذلك الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ في الحفل الذي اقامه لأعيان ووجهاء الحجاز عام ١٣٥٥هـ بمناسبة إنتهاء موسم الحج وسفره إلى الرياض، فيقول:

«أنا لا أحب أن أشق على الناس، ولكن الواجب يقتضي بأن أصارحكم.. إننا في أشد الحاجة إلى الاجتماع والاتصال بكم لتكونوا على علم تام بما عندنا، ونكون على علم تام بما عندكم.. وأود أن يكون هذا الاتصال مباشرة وفي مجلسي لتحملوا إلينا مطالب شعبنا ورغباته وتحملوا إلى الشعب أعمالنا ونوايانا.. إني أود أن يكون اتصالي بالشعب وثيقاً دائماً، لأن هذا أدعى لتنفيذ رغبات الشعب.. لذلك سيكون

مجلسي مفتوحاً لحضور من يريد الحضور من الساعة الثانية إلى الساعة الثالثة ليلاً . . وفي حالة غيابي سيكون مجلس نائبنا مفتوحاً لهذه الغاية بدلاً من مجلسنا، سواء كان في مكة أو في الطائف، وإذا كان في هذا مشقة على الناس إلا أن فيه مصلحة لا تخفى عليكم.

أنا أود الاجتماع بكم دائماً، لأكون على اتصال تام بمطالب شعبنا وهذه غايتي من وراء هذا الاتصال . .

نسأل الله أن يوفقنا لما فيه الخير لهذا الوطن العزيز . . »(٩٥).

وخلال الحفل الذي أقامته أمانة العاصمة المقدسة في مكة المكرمة عام ١٣٥٦هـ تحدث الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ عن حق الراعي والرعية، فقال:

«ومن نعم الله أن هدانا إلى تجنب الإشراك، وهو القائل ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾(٩٦) وهو أقرب إلينا من حبل الوريد . .

وواجب على من تولى أمر المسلمين أن يكون مصلحاً، لأنه إذا صلح الراعي صلحت الرعية، والراعي كالمطر، أحياناً يكون خيراً على رعيته، وأحياناً يكون بلاء ومضرة، ولا يصلح الراعي إلا إذا اتبع كتاب الله وسنة رسوله، والإمام والأمير حتى والي البيت يجب عليه أن يعلم أنه راع وكل راع مسئول عن رعيته، ويجب أن يفعل معهم ما يجب أن يفعلوا معه، لأن

النفوس لا يمكن أن توافق على غير ما تحب، والدين يحتم عليك أن تحب من أحب الله ولو كان من أعدائك وأن تبغض من يحارب الله ولو كان من أصدقائك وأحبائك، وهذه هي المحجة البيضاء إن شاء الله»(٩٧).

وتحدث الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ في حفل الاستقبال الذي أقامه في مدينة الطائف عام ١٣٥١هـ إلى المسئولين العاملين في الدولة مبيناً لهم أمور الراعي والرعية فقال:

«أنتم رؤساء البلاد وقادة الأمة وكبراؤها، وأدرى بما يحسون به وما يشعرون، ويجب عليكم أن ترفعوا إليّ كل ما يتظلمون منه وترشدوني إذا رأيتموني ضللت عن طريق الحق، وإذا لم تفعلوا ذلك فأنتم المسئولون، وإني أطلب منكم ومن غيركم أن من رأى مني شيئاً مخالفاً فليوضحه لي وليرشدني إلى طريق الحق وليكن كما قال عمر بن الخطاب لمن أراد أن ينصحه: (فليكن ذلك بيني وبينه) فوالله إذا رأيت الحق أتبعه لأني مسترشد ولست بمستنكف، ومن رأى شيئاً وكتمه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

أما المظلمة التي تصلني، فإني لا أتركها بل أبحثها وأحقق فيها، والتي لا تصلني فالذنب فيها على من رأى وكتم، وإذا علمت به فسيكون جزاؤه عندي أعظم من جزاء غيره.

وإني أحثكم على العمل الذي فيه اكتساب معيشتكم، فابذلوا كل ما في وسعكم لذلك، وهذه أرض الله واسعة فاسعوا في مناكبها ولا تركنوا للكسل والخمول فإن عاقبتهما وخيمة.

إن الذي دعاني لجمعكم في هذا المكان هو النصح لكم حتى لا يغتر السفيه بالحلم، ولا يسترسل في غوايته، وأحذركم من أمرين:

الأول: الإلحاد في الدين والخروج عن الإسلام في هذه البلاد المقدسة: فوالله لا أتساهل في هذا الأمر أبداً، ومن رأيت منه زيغاً عن العقيدة الإسلامية فليس له من الجزاء إلا أشده، ومن العقوبة إلا أعظمها.

الثاني: السفهاء الذين يسول لهم الشيطان بعض الأمور المخلة بأمن البلاد وراحتها، فهؤلاء شأني معهم شأن الديناميت مع النار»[٩٨].

قال ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة»[٩٩]، هل بعد هذه الأقوال الحكيمة الحازمة والأحاديث الأمينة الصادقة ومن عربي أبي ومؤمن تقي يحق الخروج عليه وقد أمر المسلم طاعة الحبشي؟ ولما يعلم من شمم العربي وإبائه في أن يتبع الأسود الأكحل، ولكن أمر الدين أمر

الله، فلزوم الطاعة لولاة الأمر واجبة، وقد بذل الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ نفسه للسماع والتناصح والأخلاص.

ويؤكد الملك عبدالعزيز أهمية التناصح والتواصل بينه وبين الشعب فيقول ـ رحمه الله ـ في كلمته التوجيهية لأعضاء مجلس الشورىٰ خلال افتتاح دورته للعام ١٣٥٥هـ:

«الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علىٰ سيد المرسلين نبينا محمد ﷺ..

أما بعد..

فنفتتح ـ باسم الله ـ دورة مجلس الشورىٰ الجديدة، طالبين من المولىٰ عز وجل التوفيق، والسداد لهيئته..

لقد قضت حكمة الله باجتماع المسلمين للنظر في مصالحهم باتباع ما أمر به واجتناب ما نهىٰ عنه، وأمرنا بالتعاون علىٰ البر والتقوىٰ، والتشاور والتناصح في مصالح البلاد والعباد، حيث قال في محكم كتابه: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾(١٠٠)، وقال عليه الصلاة والسلام: (الدين النصيحة)؛ ولذلك حرصنا منذ الساعة الأولىٰ لتأسيس مجلسكم الموقر ليكون همزة الوصل بين الراعي والرعية، والترجمان الصادق بين الحاكم والمحكوم.

وقد انتهت بالأمس الدورة الخامسة من دوراته ولله الحمد،

قام المجلس خلالها بالمهمة الملقاة على عاتقه، فكان مثال الجد والنشاط في أعماله، وموفقاً في قراراته التي كان لها أحسن الأثر في سير الأمور، والنهوض بالبلاد نحو الرقي والعمران.

نسأل الله أن يوفقنا وإياكم لما فيه مرضاة وجهه، وأن يهدينا إلى طريق الخير والفلاح، إنه على كل شيء قدير»[١٠١].

الحج: الحق الإسلامي والإنساني والسياسي

يمثل الحج الركن الخامس من أركان الإسلام، ويلزم المسلم أداءه مع الاستطاعة، لما فيه من الفضائل العظيمة. يقول الله عز وجل: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾(١٠٢)، ويقول معلم الهدىٰ نبينا محمد ﷺ: «بني الإسلام علىٰ خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان»(١٠٣)، ويقول ﷺ: «من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»(١٠٤)، ويقول عليه الصلاة والسلام: «العمرة إلىٰ العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»(١٠٥).

إن هذه الشعيرة العظيمة من أهم ما يميز الأمة الإسلامية عن غيرها من الأمم ومن خلالها يتم التقاء المسلمين بعضهم ببعض من جميع أنحاء الدنيا في جو روحاني إيماني لا يتميز فيه أحد علىٰ الآخر، هدفهم وقصدهم واحد هو عبادة الله وطاعته، سائلين عفوه ومغفرته، مجيبين نداء الحق - عز وجل - منذ أن أمر خليله إبراهيم - عليه السلام - بنداء الناس إلىٰ الحج: ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ

فَجٍّ عَمِيقٍ. لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾(١٠٦) . قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾(١٠٧) .

وفي مراحل مختلفة من التاريخ، كان الحج يشكل عقبة كَأْداءُ حتى على القادرين من الناس؛ لما كان يحفه من المخاطر والصعاب، ففي بعض الأزمان أمسى الحج ضرباً من ضروب المخاطرة، التي قد يعرض فيها الحاج حياته للخطر، وفي أحيان كثيرة كان الحاج يودع على أنه قد لا يعود، وبدَّل الله الأمر بما هو خير منه، وقيض لهذه الأمة، الملك الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود ـ يرحمه الله ـ فجمع الشمل، وفوَّت الفرصة على مروعي ضيوف بيت الله الحرام بإقامة الشريعة الإسلامية الغراء التي تحقق العدل والأمان.

لهذا فقد حرصت المملكة العربية السعودية منذ تأسيسها على أن تستند في كل توجهاتها إلى مبادئ الدين الإسلامي الحنيف، وتعاليمه السمحة، متخذة من القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة دستوراً لها، مطبقة على هدى منهما شريعة الله ـ عز وجل ـ لإحقاق العدل ونشر الفضيلة، وقد شرفها الحق ـ عز وجل ـ بالحرمين الشريفين، وجعل فيها قبلة المسلمين ومهوى أفئدتهم، وتعد المملكة العربية السعودية خدمة الحرمين

الشريفين، ورعاية الحجاج والمعتمرين، من مهماتها الأساسية، وواجباتها المقدسة التي تسعى لإنجازها بمستوى فائق، يقول خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود ـ حفظه الله تعالى : «لقد تأسس الحكم في هذا البلد العزيز علينا وعلى كل مسلم في العالم، على تقوى الله، وإقامة حدود الله، والتمسك بتعاليم العقيدة الإسلامية نصاً وروحاً، وقولاً وفعلاً، نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، ونقيم العدل بين الناس، نفشي السلام، ونصل الأرحام، ونسعى ـ ما استطعنا ـ إلى الإصلاح بين الناس، وحل الخلافات بالكلمة الطيبة، وبالتي هي أحسن. على هذه الأسس القويمة والدعائم الكريمة قامت المملكة العربية السعودية منذ أن أسسها الراحل عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود ـ يرحمه الله ـ وانطلاقاً من المسؤولية التي شرفها الله بها حكومة وشعباً بخدمة الحرمين الشريفين، ورعاية حجاج بيت الله العتيق، جندت المملكة كل طاقاتها المحدودة وإمكاناتها المتواضعة منذ نشأتها في القيام بهذا الواجب الإسلامي العظيم، معتمدة على الله، ثم على سواعد أبنائها دون كلل أو ملل، حتى أفاء الله علينا من نعمه، وفجر لنا كنوز الأرض بتدفق النفط، فضاعفنا الجهود، ورفعنا مستوى الأداء، وبذلنا

العطاء، في سبيل تحسين سبل معايشنا وتطويرها، بما يتواكب مع متطلبات العصر، وأنفقنا كل ما وفقنا الله إليه، لخدمة الحرمين الشريفين، والسهر على راحة الحجاج، والزوار، والمعتمرين، تعبيراً عن شكرنا لله على نعمه وآلائه»[١٠٨].

ويقول ـ حفظه الله تعالى: «إن من نعم الله على هذا البلد وأبنائه، أن أكرمنا الله بخدمة الحرمين الشريفين، وخصنا برعاية الحجاج، ووفقنا لعمارة المسجد الحرام، ومسجد الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه.

ولذا فإن هذا الواجب الإسلامي العظيم يتطلب منا أن نكون في مستوى أدائه، وشكراً وحمداً على نعمائه وآلائه، التي أسبغها علينا، ومن أعظمها تمسكنا بعقيدتنا الإسلامية نصاً وروحاً، قولاً وعملاً، وتطبيق شرائعها، وامتثال أوامرها، واجتناب نواهيها في كل شؤون الحياة»[١٠٩].

إن العناية بالحرمين الشريفين، وضيوف الرحمن، من أساسات منهج الحكم في المملكة العربية السعودية، منذ تأسيسها، حيث نصت المادة الرابعة والعشرون في الباب الأول من نظام الحكم على ما يلي:

«تقوم الدولة بإعمار الحرمين الشريفين، وخدمتهما، وتوفر الأمن، والرعاية لقاصديها، بما يمكّن من أداء الحج والعمرة، والزيارة، بيسر وطمأنينة»[١١٠].

إن هذه المنطلقات قد تجسدت في ممارسة قادة المملكة العربية السعودية منذ توحيدها على يد الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله تعالى ـ فقد أكد منذ دخول الأماكن المقدسة تحت ولايته على المبادرة إلى رعاية الحجاج بكامل الحقوق الإسلامية والإنسانية والسياسية (١١١)، وحرص على تبليغ ذلك للمسلمين، في مشارق الأرض ومغاربها، فقال ـ رحمه الله تعالى ـ في النداء الذي وجهه إلى المسلمين من مكة المكرمة، في شهر شعبان عام ١٣٤٣هـ الموافق للخامس والعشرين من شهر فبراير عام ١٩٢٥م : «لما كان من أجل مقاصدنا خدمة الإسلام والعالم الإسلامي، وهو المبدأ الذي اتخذناه عند الشروع في هذه القضية العظيمة الشأن، رأيت الواجب يدعوني لأبين للمسلمين عامة ما يلي :

إننا نرحب ونبتهج بقدوم وفود حجاج بيت الله الحرام، من كافة المسلمين في موسم هذه السنة، ونتكفل ـ بحول الله ـ بتأمين راحتهم، والمحافظة على حقوقهم، وتسهيل أمر سفرهم إلى مكة المكرمة من إحدى الموانئ التي ينزلون إليها، وهي : رابغ، أو الليث، أو القنفذة، وقد أحكم فيها النظام، واستتب الأمن استتباباً تاماً منذ دخلتها جيوشنا، وسنتخذ من التدابير في هذه المراكز جميع الوسائل التي تكفل تأمين راحة الحجاج إن شاء الله تعالى» (١١٢).

وقد نشرت وكالة الأنباء السعودية (واس) في ٧/ ١٢/ ١٤٠٦هـ تقريراً إحصائياً عن أعداد الحجاج الذين وفدوا إلى المملكة العربية السعودية منذ عام ١٣٤٥هـ حتى عام ١٤٠٥هـ أي من حين النداء المبارك، الذي وجهه الملك عبدالعزيز للمسلمين بتأمين الحج، يتضح من خلاله ازدياد عدد الحجاج بعد زوال العقبات التي كانت تجعل من الحج رحلة عسيرة وشاقة ومحفوفة بالمخاطر، بعد إرساء دعائم الأمن وتيسير السبل، ولقد جاء في إحصاء موجز للرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي (نشرته وكالة الأنباء السعودية في ٧/ ١٢/ ١٤٠٥هـ) بيان لعدد الأعوام التي لم يحج فيها الناس من الخارج بسبب الحوادث والفتن وعدم استتباب الأمن داخل الحرمين الشريفين والمناطق والطرق المحيطة بهما وبالمشاعر المقدسة وجملة ذلك مائتان وثلاث عشر عاماً، كما بين الإحصاء عدد الأعوام التي لم يحج فيها أمير بعينه على وفود الحجاج وإنما كان يحج من كل قطر أمير على حجاج بلده وكان ذلك لمدة مائتي عام وعام[١١٣].

و منذ أن مكن الله عز وجل لإمام المسلمين الملك عبدالعزيز

بن عبدالرحمن آل سعود الذي غير وجه الجزيرة العربية بعون الله وتوفيقه، ومن الله على هذه البلاد بمن لا يألون جهداً في سبيل راحة الحجاج، وتسهيل أمورهم، وحتى وقتنا الحاضر عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز ـ حفظه الله ـ وهو الذي وهب نفسه لخدمة الإسلام والسهر على راحة حجاج بيت الله الحرام، ويشرف على ما يتعلق بشؤونهم بنفسه، ويرعاهم الرعاية التامة إحياء للسنة، واتباعاً لشرع الله تعالى.

فمنذ ذلك التاريخ (أي عام ١٣٤٥هـ) وحتى وقتنا الحاضر يتولى ولي أمر المسلمين في المملكة العربية السعودية، أو من ينيبه على ذلك ممن له مكانة وهيبة بين الناس رعاية حجاج بيت الله الحرام ليعلمهم مناسكهم، ويرشدهم في أمور دينهم، ويقودهم إلى المشاعر المقدسة، وينصرف بهم منها في الأوقات المحددة شرعاً، تأسياً برسول الله ﷺ، لأن الحج شأنه عظيم، وفضله جسيم، تميل إليه النفوس رغم مشاقه، وتشتاق إليه كل عام وإن بعدت مسافاته، فهو أحد أركان الإسلام الخمس التي بني عليها الإسلام.

ومعلوم أنه على إثر دخول الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ إلى جدة في السابع من جمادى الثانية لعام ١٣٤٤هـ أعلن في بلاغ عام إلى أهالي المنطقة الغربية ما يلي:

«إخواني . . .

تفهمون أني بذلت جهدي، وما تحت يدي، في تخليص الحجاز لراحة أهله وأمن الوافدين إليه، طاعة لأمر الله، قال جل من قائل: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾(١١٤)، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾(١١٥).

ولقد كان من فضل الله علينا وعلى الناس، أن ساد السكون والأمن في الحجاز من أقصاه إلى أقصاه، بعد هذه المدة الطويلة التي ذاق الناس فيها مر الحياة وأتعابها، ولما مَنَّ الله بما مَنَّ، من هذا الفتح السلمي الذي كنا ننتظره ونتوخاه، أعلنت العفو العام عن جميع الجرائم السياسية في البلاد، وأما الجرائم الأخرى فقد أحلت أمرها للقضاء الشرعي لينظر فيها بما تقتضيه المصلحة الشرعية في العفو.

وإني أبشركم ـ بحول الله وقوته ـ أن بلد الله الحرام في إقبال وخير، وأمن وراحة، وإنني ـ إن شاء الله ـ سأبذل جهدي فيما يؤمن البلاد المقدسة ويجلب الراحة والاطمئنان لها.

لقد مضى يوم القول، ووصلنا إلى يوم البدء في العمل، فأوصيكم ونفسي بتقوى الله، واتباع مرضاته والحث على طاعته، فإنه من تمسك بالله كفاه، ومن عاداه ـ والعياذ بالله ـ باء بالخيبة والخسران.

إن لكم علينا حقوقاً ولنا عليكم حقوق، فمن حقكم علينا النصح لكم في الباطن والظاهر، واحترام دمائكم وأعراضكم وأموالكم إلا بحق الشريعة، وحقنا عليكم المناصحة ـ والمسلم مرآة أخيه ـ فمن رأى منكم منكراً في أمر دينه أو دنياه فليناصحنا فيه، فإن كان في الدين، فالمرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وإن كان في أمر الدنيا فالعدل مبذول إن شاء الله للجميع على السواء.

إن البلاد لا يصلحها غير الأمن والسكون، لذلك أطلب من الجميع أن يخلدوا إلى الراحة والطمأنينة، وإني أحذر الجميع من نزغات الشياطين والاسترسال وراء الأهواء التي ينتج عنها إفساد الأمن في هذه الديار، فإني لا أراعي في هذا الباب

صغيراً ولا كبيراً، وليحذر كل إنسان أن تكون العبرة فيه لغيره.

هذا ما يتعلق بأمر اليوم الحاضر، إني أسال الله أن يعيننا جميعاً ويوفقنا لما فيه الخير والسداد، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود

«تحريراً بجدة في ٨ جمادي الثانية ١٣٤٤هـ»(١١٦)

ولعلنا في الصفحات الماضية ما نكاد نستشهد بوثيقة من وثائق الملك عبدالعزيز إلا ونجده يتحدث عن الحجاج وراحتهم، ومعظم ما أوردناه من وثائق كان في الحفلات التي كان يقيمها رحمه لكبار الحجاج من ضيوف الرحمن خلال مواسم الحج في القصر الملكي بمكة المكرمة ومنى. باعتبار ذلك مناسبة إسلامية عظيمة تظهر فيها واجبات الدعوة إلى الله وتأثيرها في النفوس والقلوب والأرواح؛ لأن الجميع أتى لعفو ربه ومغفرته مخبتين منيبين إليه.

المعاصرة في الدعوة أصيلة أم دخيلة؟

المعاصرة في المملكة العربية السعودية مسيرة تدخل بها كل ميدان جديد بفخر واعتزاز بما حواه القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف من مواكبة لتطور حياة الناس وتجددها، فمادة التاريخ العسكري والحربي في جامعات العالم تعنى بتأهيل الدارسين في اللغات والإعلام، ومواد القانون الدولي في مسائل الحدود والحقوق للأمم والشعوب تعنى بدراسة حقوق الإنسان والشرعية الدولية للبلدان، والأنظمة المالية وتبادل العملات والأوراق النقدية تنظم أسواق المال والأعمال، ولئن كانت هذه مظاهر عصرية في عالمنا اليوم تداعت لوجودها ظروف معينة عند كثير من الأمم والشعوب، فإن الإسلام ومنذ ما يزيد عن ألف وأربعمائة عام شرع للناس ما وصى به الرسل والأنبياء من لدن إبراهيم عليه الصلاة والسلام حتى بعثة النبي الخاتم محمد ﷺ، إذن فليس بمستغرب أن يحتفي الإسلام بما ذكرناه وكان ذلك محل اهتمام بالغ عند الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ في الدعوة الإسلامية لبناء الدولة الإيمانية كما سنوضح ذلك في الصفحات التالية، وما جاء فيها من وثائق ملكية وتوجيهات سامية.

أولاً: اللغات الأجنبية وتعلمها:

تعلم اللغات، وتعددها، وتنوعها من أبرز الآيات الدالة على عظمة الله تعالى وكمال قدرته، وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة في قوله عز من قائل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾(١١٧)، واللغة لها أهمية كبرى في حياة الإنسان؛ ولا أدل على ذلك من ورود كلمة (لسان) في القرآن الكريم بمعنى (لغة) فيما يزيد عن عشرين موضعاً، وكذلك وردت بعض الأحاديث النبوية التي تؤكد أهمية اللغات، وأهمية تعلمها، من ذلك ما جاء في الحديث عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: أمرني رسول الله فتعلمت له كتاب يهود وقال: «والله ما آمن يهود على كتابي فتعلمته فلم يمر بي إلا نصف شهر حتى حذقته، فكنت أكتب له إذا كتب وأقرأ له إذا كتب إليه»(١١٨)، والمعلوم أن زيداً رضي الله عنه كان مخالطاً لليهود الذين كانوا موجودين حول المدينة، وكان يعلم شيئاً من لغتهم، فخصه الله بكرامة الأصحاب رضوان الله عليهم جميعاً فحذق علم اللغة في وقت وجيز.

وفي تبليغ الدعوة من رسل رب العالمين إلى أقوامهم يقول

الحق تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(١١٩).

وقد تحدث الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ في الحفل الذي أقامه يوم السادس لشهر ذي الحجة عام ١٣٥٠هـ لكبار الحجاج مبيناً وجوه قوة الأمم وركز على أهمية تعلم اللغات الأجنبية في إفادة الشرع والدعوة ومواجهة خطر الأعداء فقال:

«وإني أقول بوجوب القوة في كل شيء، في الزراعة وفي السياسة وفي الصناعة وفي كل أمر فيه طاعة لله، أما ما يخالف ذلك فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وقد أمر رسول الله ﷺ بتعلم اللغات الأجنبية لأنها من ضمن القوى على العدو لئلا يظهر عليهم، وكذلك أصحابه من بعده»(١٢٠).

ثانياً: الإعلام: الصدق والالتزام:

على وسائل الإعلام المختلفة من مقروءه ومرئية ومسموعة ومن شبكات المعلومات والحاسوب إذا استخدمها المسلمون لزمهم الصدق فيها وإظهار العزة للإسلام والمسلمين، والبعد عن إيذاء المسلمين، وعدم التخاذل أمام الأعداء استطالة بشرف مدينتهم.

ومن وصايا الإسلام في القرآن الكريم وهدي المصطفى الرؤوف الرحيم لزوم الصدق ووجوبه على المسلم. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾(١٢١)،

وقوله ﷺ: «وإن البر يهدي إلىٰ الجنة وإن الرجل ليصدق حتىٰ يكتب عند الله صديقاً وإن الكذب يهدي إلىٰ الفجور وإن الفجور يهدي إلىٰ النار وإن الرجل ليكذب حتىٰ يكتب عند الله كذاباً»(١٢٢) وقال عليه الصلاة والسلام: «دع ما يريبك إلىٰ ما لا يريبك فإن الصدق طمأنينة وإن الكذب ريبة»(١٢٣).

وفي هذا الصدد وخلال الحفل الذي أقامته أمانة العاصمة المقدسة في مكة المكرمة علىٰ شرف الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ غرة ذي الحجة لعام ١٣٤٨هـ تحدث عن الإعلام وخصوصاً في شؤون الصحافة، ويدأ كلمته ـ يرحمه الله ـ ببيان أن الدعاية الإعلامية ليست هدفاً عنده ولا غرضاً ولا غاية، حيث أوضح عدم فخره بألقاب الدنيا التي هي وسيلة وهدف عند كثير من الناس، مؤكداً أن الدعاية الحقيقية للإنسان المسلم هو الدعوة إلىٰ الله والعمل الدعوي في سبيله جل جلاله، فقال:

«لست ممن يفخرون بألقاب الملك ولا بأبهته، ولست ممن يولعون بالألقاب ويركضون وراءها، وإنما نحن نفختر بالدين الإسلامي، ونفتخر بأننا دعاة مبشرون لتوحيد الله ونشر دينه، وأحب الأعمال إلينا هو العمل في هذا السبيل، وكلما قمنا بشيء من هذا القبيل ـ ولو بسيط ـ شعرنا براحة واطمئنان. شعرنا بأننا نلنا فخراً يزيد عن فخر الملك وأبهته.. أجل..

نحن دعاة إلى التمسك بالدين الخالي من كل بدعة، نحن دعاة إلي العروة الوثقي التي لا انفصام لها.

إن الله أمرنا أن ننظر في كل أمر من أمورنا وألا ندخر جهداً في المحافظة على كياننا، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾(١٢٤) . . . الدنيا درجات. . ولو درسنا حالة الأوربيين وجدنا أنهم يعتصمون بالحديد والكهرباء وما شاكلها. . أما نحن فإننا نعتصم بحبل الله تعالى، ومن اعتصم بالله فهو حسبه. .

نحن دعاة إلى الإيمان بالله تعالى وبرسول الله وبكتاب الله وبسنة نبيه، نحن ندعو إلى ذلك جهد طاقاتنا في السر والعلن، وليس في ذلك غش ولا تدليس. . هذه حقيقة الإعلام الذي هو جزء من أعمال الداعية الذي يجب أن يكون صادقاً. . فيستطرد الملك عبدالعزيز قائلاً:

ومن غريب أمر «الصحفيين» أنهم إذا دخلوا في جدل مع الأوربيين جادلوهم بالتي هي أحسن، وألانوا لهم القول وانتقدوهم بهوادة ولين، ولكنهم ـ أي بعض رجال الصحافة ـ إذا أرادوا الدخول في جدل مع المسلمين انقلبت الآية وجادلوا المسلمين جدلاً ملؤه الكذب والبهتان، وحشوه الإقذاع والطعن والهجو الشديد، انتقدوهم انتقاداً مراً بعيداً عن آداب الجدل والحديث.

أنا ترعرعت في البادية. . فلا أعرف أصول الكلام وتزويقه. . ولكن أعرف الحقيقة عارية من كل تزويق. . . إن

فخرنا وعزنا بالإسلام. . والله لا يهمني مال قارون ولا غيره. . وكل همي هو موجه لإعلاء كلمة الدين وإعزاز المسلمين. . .

سنبقى مثابرين ـ أنا وأسرتي ـ على هذه الخطة إلى ما شاء الله. . ولن نحيد عنها قيد شعرة بحول الله وقوته. . ومن الله نسأل التوفيق والهداية. . »[١٢٥].

إذن الصدق في السر والعلن في السلم والحرب وفي كل الأحوال مطلب إسلامي في الدعوة، ومنبر الإعلام لابد أن يكون كذلك، حيث ينكر الملك عبدالعزيز على الإعلام التزييف والتدليس حيث قال:

ثالثاً: التجديد والتطوير والمدنية:

«ما من شك في أن المولى سبحانه وتعالى استخلف الإنسان في الأرض وأمره بعمارتها وإقامة حكمه وشرعه بعيداً عن الأهواء والضلالات، قال تعالي: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ﴾[١٢٦]، وقال جل جلاله: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾[١٢٧]. وقال جل وعلا: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾[١٢٨]، وقال عليه الصلاة والسلام: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[١٢٩]،

وقال ﷺ: «أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدىٰ هدىٰ محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة»[١٣٠].

وكان الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ مدركاً بفكره الإسلامي ومنهجه الدعوي والمعاني الشرعية التي جاءت في الكتاب والسنة، فكان يأخذ بكل ما أباح الله لعباده من الطيبات في تسيير شؤون المملكة من بناء المدارس والمستشفيات، وإيصال الماء والكهرباء ووسائل المواصلات، وبناء المؤسسات الحكومية، دون التأثر ببهرجة المدنية الزائفة، وما ضاره أقوال المتقدين وحديث المرجفين، ولقد بين الملك عبدالعزيز بوضوح موقفه الإسلامي من مسائل التقدم والمدنية والحضارة في خطابه الذي ألقاه في جموع كبار حجاج بيت الله الحرام يوم عيد الأضحىٰ المبارك عام ١٣٥٤هـ وقال:

«كثيراً ما تلوك ألسنة المسلمين (إن الله غفور رحيم) وهذا الكلام صحيح.. ولكن ألم يأتهم نبأ قوله تعالىٰ: ﴿إن الله شديد العقاب﴾؟[١٣١].. إن الله غفور رحيم لمن تاب وآمن وعمل صالحاً، وأما من يستمر في طغيانه ويصر علىٰ كفره فسيناله عقاب ربه.. إنني أرجو من المسلمين أن يرجعوا إلىٰ كتاب الله وسنة رسوله.. وهذا هو ديننا.. وهذا هو معتقدنا.. نقاتل من أراد أن ينال ديننا أو وطننا بأذىٰ.

يقول كثير من المسلمين «يجب أن نتقدم في مضمار المدنية والحضارة، وأن تأخرنا ناشئ عن عدم سيرنا في هذا الطريق»، وهذا ادعاء باطل، فالإسلام قد أمرنا بأخذ ما يفيدنا ويقوينا على شرط ألا يفسد علينا عقائدنا وشيمتنا، فإذا أردنا التقدم فيجب أن نتبع الإسلام وإلا كان الشر كل الشر في اتباع غيره»[١٣٢].

وبكثير من الإيضاح والشرح الممزوج بشكر نعم الله ظاهرة وباطنه بما أنعم الله على المملكة العربية السعودية وولاة أمرها وشعبها، يتحدث الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ عن مرامي الناس إلى التجديد غير المفيد. ففي الحفل التكريمي الذي أقامه في القصر الملكي في مكة المكرمة لضيوف الرحمن قال عام ١٣٤٧هـ:

«أما «التجديد» الذي يحاول البعض إغراء الناس به بدعوى أنه ينجينا من آلامنا فهو لا يوصل إلى غاية ولا يدنينا من السعادة الأخروية..

إن المسلمين في خير ما داموا على كتاب الله وسنة رسوله، وما هم ببالغين سعادة الدارين إلا بكلمة التوحيد الخالصة..

إننا لا نبغي «التجديد» الذي يفقدنا ديننا وعقيدتنا.. إننا نبغي مرضاة الله عز وجل، ومن عمل ابتغاء مرضاة الله فهو حسبه، وهو ناصره، فالمسلمون لا يعوزهم التجديد وإنما

تعوزهم العودة إلى ما كان عليه السلف الصالح، ولقد ابتعدوا عن العمل بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله، فانغمسوا في حمأة الشرور والآثام فخذلهم الله جل شأنه، ووصلوا إلى ما هم عليه من ذل وهوان، ولو كانوا متمسكين بكتاب الله وسنة رسوله لما أصابهم ما أصابهم من محن وآثام ولما أضاعوا عزهم وفخارهم، لقد كنت لا شيء . . . وأصبحت اليوم وقد استوليت على بلاد شاسعة يحدها شمالاً العراق وبر الشام، وجنوباً اليمن، وغرباً البحر الأحمر، وشرقاً الخليج. لقد فتحت هذه البلاد ولم يكن عندي من الأعتاد سوى قوة الإيمان، وقوة التوحيد، ومن «التجدد» غير التمسك بكتاب الله وسنة رسوله، فنصرني الله نصراً عزيزاً.

لقد خرجت وأنا لا أملك شيئاً من حطام الدنيا ومن القوة البشرية، وقد تألب الأعداء عليَّ، ولكن بفضل الله وقوته تغلبت على أعدائي وفتحت كل هذه البلاد[١٣٣].

رابعاً: حقوق الإنسان في الإسلام:

حقوق الإنسان في الإسلام فضل من الله ونعمة، وآفاق مفتوحة أما البشر، بدأت مع قصة خلق آدم عليه الصلاة والسلام بكل شمول وكمال من رب العزة والجلال، فمنح الإنسان الكرامة الموحدة من الأب الواحد، وهذ منتهى العدل،

ومع أنه خلق من تراب لكنه نفخ فيه من روحه، يقول جل وعلا: ﴿ ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ . الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ . ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ . ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ﴾(١٣٤)، فهو ـ اي الإنسان ـ مادة وروح، وعزز العلي القدير خلق الإنسان بتكريمه حيث يقول تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾(١٣٥)، وقمة هذا التكريم توجت بأن أمر سبحانه وتعالىٰ الملائكة بالسجود لأبي الإنسان والبشر آدم عليه السلام، قال تعالىٰ: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ . فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾(١٣٦)، ثم إن الله سبحانه وتعالىٰ في خلق آدم مَنَّ عليه بالسمع والبصر والفؤاد، فمنحه حق الحياة وحرم قتله وإفساد حياته فقال تعالىٰ: ﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾(١٣٧)، وقال النبي ﷺ: «لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً»(١٣٨)، كما أن الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ منح الإنسان حق العلم والتعلم وأثنىٰ علىٰ العلماء والمتعلمين، فقال معلم

العالمين العلي العليم : ﴿ وعلَّم آدم الأسماء كلها ثمَّ عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين .قالوا سبحانك لا علم لنا إلاَّ ما علَّمتنا إنَّك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلمَّا أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ﴾[١٣٩] ، وقول العليم الخبير : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علَّم بالقلم . علَّم الإنسان ما لم يعلم ﴾[١٤٠] ، وقوله ﷺ : «تعلموا العلم وعلموه الناس»[١٤١]

وهكذا يتضح تكريم الله ـ سبحانه وتعالى ـ للإنسان ومنحه تلك الحقوق، التكريم في الخلق، والحق في الحياة، والحق في العلم، ثم منة الله ـ سبحانه وتعالى ـ على الإنسان بالعقل والإرادة، كما جعل له حق الزواج وتكوين الأسرة ورزقه الطعام والشراب وحق الأمن والمسكن، كل ذلك جاء بعد أن خلق الله آدم وخلق منه حواء، قال تعالى: ﴿ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾[١٤٢]، وقوله جل شأنه : ﴿ إنَّ لك ألاَّ تجوع فيها ولا تعرى .وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى ﴾[١٤٣] ، ولكن عبث إبليس وحقده وحسده على الإنسان دفعه للسعي

إلى إفساد حقوق الإنسان بغوايته وضلالته نحو الجحود والاعتداء على ما شرع الله للإنسان وأعطاه من حقوق، وهذا ما (يفعله شياطين الإنس اليوم)، تسبب ذلك في هبوط الإنسان من الجنة إلى الأرض، ولكن حقوقه التي منحها الله إياها بقيت له ومعه تنطلق من أهم ما أوجب ا لله على الإنسان في خلقه، حيث يقول المولى جل وعلا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ . مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ . إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾(١٤٤)، وقوله ﷺ في الحديث الذي رواه معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ حيث قال: «كنت ردف النبي ﷺ على حمار فقال: يا معاذ هل تدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئاً، قال: قلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال: لا تبشرهم فيتكلوا»(١٤٥). وحقيقة هذه العبادة توحيد الله وإفراده بالألوهية والربوبية وتمجيد أسمائه وصفاته وتقديسها فليس كمثله شيء وهو السميع البصير، هو الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ

أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب﴾(١٤٦).

لقد أكرم الله الإنسان بالخلق بدءاً، ثم سخر له السموات والأرض، ومتعه بالطيبات، وأمره بعبادته وحده لا شريك له، ولقد انبرت بعض الدراسات لتؤكيد السبق التاريخي المتعلق بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي صدر عام ١٩٤٨م فاحتج الإنجليز بوثيقة العهد الكبير Magna Carta التي صدرت عام ١٢١٥م واعتز الأمريكان بوثيقة إعلان استقلالهم التي صدرت عام ١٧٧٦م وكذا فعل الفرنسيون عن وثيقة حقوق الإنسان التي صدرت مع الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م* ، ولا شك فيما ذكرناه من الآيات السابقة والأحاديث النبوية قاطع الدلالة على أن التاريخ الحقيقي لحقوق الإنسان يبدأ من خلق الإنسان، ومانح هذه الحقوق هو رب الناس ملك الناس، وليس لأحد فضل في المناداة بأن الحقوق جاءت بها أمة من الأمم أو مؤسسة من المؤسسات: ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا﴾(١٤٧).

وإلى قدم تاريخ حقوق الإنسان ومصدرها الإلهي وإلى

* حقوق الإنسان في وقتنا الحاضر في نظر المملكة العربية السعودية العبرة فيها بالتطبيق العملي وليس بالوثائق وكثرة تعدادها، فهنالك دول تنتهك هذه المواثيق الدولية انتهاكاً صارخاً على الرغم من تبنيها لحقوق الإنسان سواء على المستوى الداخلي أو الدولي. (أحوال الشيشان وتيمور الشرقية، صربيا والبوسنة والهرسك وكوسوفا.. الخ).

هرطقات الأمم التي تفاخر بسبقها إلى إعلان حقوق الإنسان يقول الشيخ محمد الغزالي ـ يرحمه الله : «إن المبادئ التي طالما صدرناها للناس يعاد تصديرها إلينا على أنها كشف إنساني ما عرفناه يوماً ولا عشنا به دهراً»(١٤٨)، إن العمق التاريخ لكرامة الإنسان وخلقه ـ ومنها تنبع حقوقه ـ تبدأ مع الحياة الإنسانية ومرجعها إلى الله فهي في الإسلام ذات عمق موثق بالقرآن الكريم والسنة النبوية، وهي عن الإنسان من حيث هو إنسان بأهداف سامية شريفة، مؤيدة بالنقل معززة بقبولها عند المنصفين بالعقل (١٤٩)، ولهذا فإن البعد التاريخي الماضي لا يجعل لأمور الحاضر في المناداة بحقوق الإنسان وجهة للقول به إلا عند أولئك الذين ظلموا الناس وتدرجوا بهم في مظاهر التفكير المختلفة، عند حمورابي، وأرسطو، وعند أفلاطون، وصولون، وعند العرب في جاهليتهم، وعند شيشرون، وجان جاك رسو وغيرهم. تدرجت عند هؤلاء حقوق الإنسان بين التبديل والتعديل، بين الرق والاستعباد، بين إهانة المرأة وأنها من سقط المتاع، والتميز بين (الكبراء والصغراء) السادة والعبيد. ولكن حقوق الإنسان كما جاءت من رب العالمين، وحفظتها الشريعة الإسلامية، تعتبر سلسلة محكمة من المبادئ والقواعد والضوابط، تشمل الدين والأخلاق والمعاملات تقوم على هدي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، مبنية إجمالاً

على المعقول الموافق لروح المنقول ومتوسلة طرق الإجماع والقياس والاستصحاب والاستصلاح والاستحسان[١٥٠].

وعلى هذا الأساس فلقد كان إدراك الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ لحقوق الإنسان في الإسلام إدراكاً عظيماً مبنياً على وعيه بحقيقة الدين الإسلامي. فلقد تحدث عن هذا الأمر قبل صدور الإعلان العالمي لحقوق الإنسان بحوالي عقدين من الزمان[١٥١] إذ جاء في الخطاب الذي ألقاه في جموع المواطنين من شعب المملكة العربية السعودية في الحفل الذي أقامته أمانة العاصمة المقدسة على شرفه عام ١٣٤٨هـ الموافق ١٩٣٠م، فقال يرحمه الله:

«يقولون: «الحرية» ويدعي البعض أنها من وضع الأوربيين، والحقيقة أن القرآن الكريم قد جاء بالحرية التامة الكافلة لحقوق الناس جميعاً، وجاء «بالإخاء» و«المساواة» المطلقة التي لم تحلم بها أمة من الأمم، فآخى بين الصغير والكبير، والقوي والضعيف، والغني والفقير وساوى بينهم.

ويقولون: «التمدن» و«المدنية الأوربية» هي الغاية القصوى، وهذا وهم باطل، فإن الله جعل من كل شيء أفضله مباحاً لنا، وأحب شيء إلينا هو العمل الخالص والنية الحسنة، والإخلاص في العمل هو أكبر سلاح لنا، فيجب أن نعمل على طاعة الله بإخلاص»[١٥٢].

خامساً: تنظيم أسواق المال والأعمال:

يكفي المسلم العاقل أن يعلم بإن الربا من أعظم الكبائر التي حرمها الإسلام وفيها إهدار لحقوق الإنسان المالية، مع ما يجلبه من مضار نفسية واجتماعية، وما يثيره من فتن ومشاحنات بين الناس، فلقد حرم الإسلام الربا تحريماً قاطعاً قال تعالى:

﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ . إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ . فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ . وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ . وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾(١٥٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات»، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشرك

بالله والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»(١٥٤).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله، زاد الترمذي وغيره: «وشاهديه وكاتبه»(١٥٥).

وعلم الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ بواجبه كراعي لشعب مسلم، وحرصه أن لا يغش رعيته ويسعى لأن يلقى ربه راضياً عنه، ولعلمه بأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، فإنه يرحمه الله أصدر في عام ١٣٤٩هـ بلاغاً حول تداول العملات وما يكون فيها من أعمال الربا، ونص البلاغ هو:

«من عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل آل سعود . .

إلى كافة من يراه من أهالي الحجاز ونجد وملحقاتها سلمهم الله تعالى . .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

وبعد، بارك الله فيكم، تعلمون ما منّ الله تعالى به علينا وعليكم من نعمة الإسلام، وحصول الراحة والأمان، فيجب علينا جميعاً أن نشكر ما أنعم الله به علينا، وأن نتحرى لما يرضيه جل شأنه، من ترك استعمال المحرمات والنصح للإسلام والمسلمين، فيما فيه صلاح لدينهم ودنياهم.

وبموجب ما هو حاصل، من اتصال البلاد ببعضها بعضاً، في الأخذ والعطاء والبيع والشراء، ولدخول جميع عمل المسكوكات بالبلاد، اجتهدت الحكومة أن تقوم بسك عملة تربح بها البلاد وأهلها، وتحفظ بها مصالحها الدنيوية، وفعلاً سكت ريالاً عربياً من الفضة، وقرشاً من النيكل، وكل ذلك حرصاً على راحة البلاد ليكون لها عملة تستند إليها، وبوجودها انقطعت من الحجاز وغيره عملة الأتراك السابقة وهي «المجيدي» و«الهلل».

وإن الحكومة ساعية وعازمة على تعميم عملتها في جميع بلادها ولكن الظروف لم تساعد في الحالة الحاضرة بسبب الأزمة الاقتصادية الواقعة في كل بلاد العالم.

لهذا أرجأت الحكومة ذلك إلى وقت آخر، ولكن وقع أمر أهمها، وإن كانت بذوره متقدمة، وهو الربا الواقع في بعض المملكة، وسببه أن الناس صاروا يشترون بالريال ويدفعون روبية، ثم إنه أن ما وقع في بعض المملكة وقع بالحجاز، حيث صار غالب الناس يبيع ويشتري بريال عربي، ويدفع ريالاً فرنسياً وبالعكس، يشتري بالريال الفرنسي ويدفع ريالاً عربياً حسب التراضي في الأقيام، كما إنه إذا صرفت رواتب الجنود، والغالب منهم من أهل نجد، يريد أن يخرج شيئاً من راتبه

لأهله، ولعدم تداول الريال العربي في نجد، وعدم وجود ذهب بأيديهم يضطرون إلى تبديل ما عندهم من الريالات العربية بريالات فرنسية، فلما رأت الحكومة انهماك الناس في هذين الأمرين: **الأول** ـ وهو أكبرها ـ وقوع الناس في الربا، والثاني اضطرابهم بالعملة، والبلاد بلاد واحدة مترابطة بعضها ببعض، وليست الحكومة مقتدرة في الوقت الحاضر على جمع الريالات الفرنسية وإخراجها من البلاد وتوحيد عملتها فيها، ومع هذا فهي مضطرة إلى تعميم تداول عملتها في بقية بلادها، لهذا رأت أن تعلن بذلك لجميع رعاياها حتى يكونوا مستعدين لما تأمرهم به، وتأمر جميع أمرائها ومأموريها بالعمل فيه وتنفيذه بدون تردد، ويكون ذلك من انسلاخ شهر صفر الآتي وأمرها هو:

ـ إن جميع المعاملات في البيع والشراء إلا بعض ما نذكره في آخره، تكون كلها بالقرش الدارج، فإذا صار البيع والشراء بالقروش الدارجة جاز لكل إنسان أن يسلم كل عملة لديه، سواء كانت ريالات عربية أو ريالات فرنسية أو روبية هندي أو جنيهات إنجليزية، أو ليرة عثمانية، ما عدا أمرين:

ـ إما أن يكون البيع والشراء حاضراً مع المشتري قيمته من أي عملة كانت ويعقد البيع على هذه العملة، ويكون التسليم منها

علىٰ ما عقد عليه البيع .

ـ إما أن يكون البيع والشراء دفعه ليس نقداً، يداً بيد، ساعة العقد ومحله، فلا يكون ذلك إلا بالقروش الدارجة منعاً لدخول الربا في البيع والشراء .

والأمر الثاني: وهو البيع والشراء بالعملات والعقارات التي تكون أقيامها مؤجلة إلىٰ مدة معلومة، فهذه تكون بعملة معلومة، ويكون الدفع كما صار العقد عليه من أي مسكوكات كانت .

ومن تبين أنه دفع خلاف ما كان عليه العقد، فعلىٰ البائع والشاري الجزاء الصارم ونقض البيع، والقصد من ذلك كله هو السلامة من الربا وتمشية جميع مسكوكات الحكومة في جميع ممالكها، وإلا يحق لأحد أن يردها أو يطلب غيرها وهي موجودة بين يديه، فمن ردها واشترط عند البيع طلب غيرها فعليه الجزاء والنكال العظيم الذي لا بد أن تقرره الحكومة لدىٰ أمرائها ومأموريها، وتؤكد عليهم القيام بتنفيذه، كما أنها تؤكد علىٰ كافة المسلمين بامتثال ما ذكر وعدم مخالفته .

أما أسعار العملة بالقروش فهي كما يأتي :

ـ كل ريال عربي باثنين وعشرين قرشاً دارجاً .

ـ كل جنيه انجليزي بمائتين وعشرين قرشاً دارجاً .

ـ كل ليرة عثماني بمائة وتسعين قرشاً دارجاً.

ـ كل ريال فرنسي بأحد عشر قرشاً دارجاً.

ـ كل روبية هندي بخمسة عشر قرشاً دارجاً.

وقد أذعنا هذا لتكونوا على بينة من الأمر والسلام عليكم.

عبدالعزيز»[١٥٦]

هذه المعاصرة الحقيقة لما يجري من أحداث في مملكة ودولة إسلامية في عهد الملك عبدالعزيز، الذي حفظ للناس حقهم بأمر الشرع، وقام بما أوجب الله من الحكم بما أنزل الله في المعاملات المالية وبيع الذهب والفضة وأنواع البيوع بالعملات.

الخاتمة

الوثائق الملكية قطاف ثمار

وبعد، فقد عرضنا نماذج عديدة من الوثائق الملكية في الدعوة الإسلامية للملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ ثم أن دواعي المناسبة تجعلنا نختم هذه الدراسة عن الثمار التي جنتها المملكة العربية السعودية منذ تأسيسها على يد الملك عبدالعزيز رحمه الله وجزاه عن أمته وشعبه خير الجزاء فيما قدم لها، وأهم تلك الثمار تطبيق الشريعة الإسلامية في السياسة والحكم وجميع وجوه الحياة.

أولاً: وجوب تحكيم الشريعة الإسلامية في بلاد الإسلام:

الاحتكام إلى الشريعة الإسلامية كتاباً وسنة أمر واجب على الأمة الإسلامية راع ورعية، والحكم بشرع الله القويم لا خلاف عليه بين المسلمين قديماً وحديثاً، فكل مؤمن مكلف بالالتزام بالشريعة الإسلامية وقبولها دون حرج أو تأنف وتأفف قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(١٥٧)، ولقد ظل المسلمون ينعمون بظلال الشريعة الإسلامية وتطبيقها

في حياتهم، وسيظلون في عزما تمسكوا بها لما في ذلك من خير لهم في معاشهم ومعادهم وذلك طاعة لله ورسوله قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٥٨)، وفي الحديث الصحيح عن العرباض بن سارية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة» (١٥٩)، وأي ضلالة أشد من ضلالة اتباع القوانين الوضعية والمناهج العلمانية والرأسمالية والمادية؟ وأي ضلالة أشد من اتباع الهوى؟ هكذا سعى أعداء الإسلام والمسلمين من خلال الحرب العسكرية والاستعمار بفرض قوانين الشر والسوء على بلاد المسلمين. ففي مصر مثلاً إبان الاستعمار البريطاني فرض القانون الإنجليزي، وفي ليبيا فرض القانوني الإيطالي، وبعد انتهاء الخلافة العثمانية في تركيا أعلنت الدولة العلمانية، «ثم بدأ زحف القوانين الوضعية، ولم تجد الدولة العثمانية أمامها من وسيلة للخروج من هذا المأزق إلا بالبدء في التحلل من الصبغة الدينية في قوانينها، لتقدم الدليل للدول الأجنبية، حتى تحصل على رضائهم لإلغاء هذه الامتيازات، وبدأت هذه الحركة بإنشاء محاكم الحقوق وهي

محاكم مدنية بجانب المحاكم الشرعية، حتى إذا كان عام ١٩٢٣م ، أعلنت الجمعية الوطنية في تركيا إلغاء السلطنة، ثم تتالى بعد ذلك اتخاذ القرارات المخالفة للإسلام، والمتعارضة مع رغبات المسلمين في السلطة العثمانية، فألغيت المحاكم الشرعية والمدارس والمؤسسات الدينية، وكانت الطامة الكبرى حين قررت الجمهورية التركية إلغاء الشريعة الإسلامية، ووصفوها بأنها شريعة عتيقة، واستبدلوا بها القانون المدني السويسري»(١٦٠) .

إذن ما هو السبب في استبدال الذي أدنى بالذي هو خير؟ إن السبب يعود إلى أمرين اثنين:

أولهما: أنه مرت بالمسلمين في العصور اللاحقة ظروف قاهرة، كان من أشدها وقوع معظم الدول الإسلامية تحت ظلم الاستعمار الغربي وقوانينه، ولم تنل معظم الشعوب الإسلامية استقلالها إلا في أواخر الخمسينات أو الستينات من هذا القرن، ونتيجة لذلك عاش المسلمون مع شريعتهم الغراء في غربة مريرة وشديدة دامت عشرات السنوات، وظلت آثارها قائمة في بعض بلاد الإسلام، حيث حلت القوانين الوضعية محل الشريعة الإسلامية.

وثانيهما: ما ظهره في المسلمين من أناس يعرفون القوانين

الفرنسية والسويدية والإنجليزية والأمريكية . . إلخ ويعتزون بها أكثر من معرفتهم وفخرهم بالشريعة الإسلامية، وهم من أبناء جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، أخذوا يثيرون الشبهات حول الشريعة الإسلامية، ويتهمونها باتهامات باطلة، قالوا إنها شريعة غير صالحة للتطبيق في هذا العصر، وزعموا أنها ستعيد الأمة الإسلامية إلى عصور الخيام والجمال . .

وكانت سنة الحق جل وعلا أنه كلما ازداد المسلمون تمسكاً بالإسلام، وإقامة لشريعته كتب الله لهم النصر والغلبة، وكلما ابتعدوا عن الإسلام وأحكامه، وانساقوا وراء الأهواء والشهوات والشبهات أحاط بهم الأعداء، تاريخنا الإسلامي شاهد على هذه السنة الإلهية في أمة الإسلام .

ولا أدل على ذلك مما يراه الإنسان لما مرت به الشعوب الإسلامية وهي تحت نير الاستعمار ولم تناهض الباطل أو حتى بعد خروج المستعمرين وأبقت على القوانين الوضعية أنها كانت في أسوأ حال اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً . . . إلخ، لا يقر لها قرار ولا يهدأ لها بال، الأمر الذي جعل الشريعة الإسلامية تعاني غربة شديدة ومريرة في كثير من بلدان العالم الإسلامي، لكن بفضل الله ورحمته لم يكن الحال كذلك في المملكة العربية السعودية ـ حرسها الله ـ التي جعلت شريعة الإسلام

ـ وما زالت ـ هي دستورها في مختلف أطوارها، لأنها دولة قامت على الإسلام والعمل به والدعوة إليه، منذ أن تعاهد الإمامان الجليلان محمد بن سعود ومحمد بن عبدالوهاب ـ رحمهما الله تعالى ـ على الدعوة إلى دين الله عز وجل وفقاً لما جاء في الكتاب والسنة، وكما فهمهما السلف الصالح ـ رضوان الله عليهم ـ ولذلك تهفو قلوب المسلمين إلى هذه البلاد الطاهرة، التي شرفها بخدمة الحرمين الشريفين، والتي أعزها بتطبيق شريعته الغراء في المنشط والمكره، وها هم الناس جميعاً يلتمسون تميز المملكة في أمنها و رخائها واستقرارها، وذلك بفضل الله، ثم بفضل التزامها بالإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقاً.

ومع أن النهضة التنموية المباركة، اضطرت المملكة العربية السعودية، إلى استقبال ملايين البشر من خارج حدودها، وهم ينتمون إلى ثقافات مختلفة وبلدان شتى، ويتكلمون لغات مختلفة، مع ذلك فإن المملكة اليوم، هي مضرب المثل في مستوى الأمن الذي تنعم به، والذي تشهد به الدراسات العلمية المحايدة، وتؤكده الإحصاءات التي لا تحابي أحداً من الناس، والمملكة العربية السعودية منذ تأسيسها وهي تستند في نظام حكمها إلى مبادئ الدين الإسلامي الحنيف، وتعاليمه

السمحة، متخذة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة دستوراً لها، مطبقة على هدي منهما شريعة الله ـ عز وجل ـ لإحقاق العدل ونشر الفضيلة، وقد شرفها الحق ـ عز وجل ـ بالحرمين الشريفين، وجعل فيها قبلة المسلمين ومهوى أفئدتهم.

وتعتبر المملكة العربية السعودية خدمة الحرمين الشريفين، ورعاية الحجاج والمعتمرين، من مهماتها الأساسية، وواجباتها المقدسة، التي تسعى لإنجازها بمستوى فائق: يقول خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود ـ حفظه الله تعالى ـ: «لقد تأسس الحكم في هذا البلد العزيز علينا وعلى كل مسلم في العالم، على تقوى الله، وإقامة حدود الله، والتمسك بتعاليم العقيدة الإسلامية نصاً وروحاً، وقولاً وفعلاً، نأمر بالمعروف، وننهى عن المنكر، نقيم العدل بين الناس، نفشي السلام، ونصل الأرحام، ونسعى ما استطعنا إلى الإصلاح بين الناس، وحل الخلافات بالكلمة الطيبة، وبالتي هي أحسن على هذه الأسس القوية والدعائم الكريمة قامت المملكة العربية السعودية منذ أن أسسها الملك الراحل عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود ـ يرحمه الله ـ وانطلاقاً من المسؤولية التي شرفها الله بها حكومة وشعباً بخدمة الحرمين

الشريفين، ورعاية حجاج بيت الله العتيق، جندت المملكة كل طاقتها المحدودة وإمكاناتها المتواضعة منذ نشأتها في القيام بهذا الواجب الإسلامي العظيم، معتمدة على الله، ثم على سواعد أبنائها دون كلل أو ملل، حتى أفاء الله علينا من نعمه، وفجر لنا كنوز الأرض بتدفق النفط، فضاعفنا الجهود، ورفعنا مستوى الأداء وبذلنا العطاء، في سبيل تحسين وتطوير سبل معايشنا، بما يتواكب مع متطلبات العصر وأنفقنا كل ما وفقنا الله إليه، لخدمة الحرمين الشريفين، والسهر على راحة الحجاج، والزوار، والمعتمرين، تعبيراً عن شكرنا لله على نعمه وآلائه»(١٦١).

ويقول ـ حفظه الله تعالى ـ: «إن من نعم الله على هذا البلد وأبنائه، أن أكرمنا الله بخدمة الحرمين الشريفين، وخصنا برعاية الحجاج، ووفقنا لعمارة المسجد الحرام، ومسجد الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه، ولذا فإن هذا الواجب الإسلامي العظيم يتطلب منا أن نكون في مستوى أدائه، وشكراً وحمداً على نعمائه وآلائه، التي أسبغها علينا ومن أعظمها تمسكنا بعقيدتنا الإسلامية نصاً وروحاً، قولاً وعملاً، وتطبيق شرائعها وامتثال أوامرها، واجتناب نواهيها في كل شؤون الحياة»(١٦٢).

إن صلاحية الشريعة الإسلامية للتطبيق، بسبب مزاياها وخصائصها، وقدراتها على مواجهة مجالات الحياة وشؤونها كافة، أمر لا يحتاج إلى جدال وقد شهد بذلك المنصفون من الغربيين حيث أكد مجموعة من المفكرين الغربيين خلال انعقاد أحد مؤتمرات القانون الدولي المقارن عام ١٩٣٧م في (لاهاي بهولندا) على تمام استقلال الشريعة الإسلامية وأنها ليست متأثره بأي قانون أو تشريع سابق كما يقال بأنها تأثرت بالقانون اليوناني أو الروماني[١٦٣]، وعن الشريعة الإسلامية يتحدث الباحث الغربي سنكس قائلاً:

«إن محمداً ﷺ لم يأت لمكافحة التوراة والإنجيل، بل إنه يقول: إن هذين قد أنزلا من السماء لهداية الناس إلى الحق مثل القرآن، وإن تعاليم القرآن جاءت مصدقة لهما، ولكنه لم يأخذ منهما، وقد رفض محمد نبي الإسلام ﷺ جميع الرموز والأساطير، ودعا إلى عبادة إله واحد قادر رحمن رحيم كما يصفه القرآن في كل سورة من سوره، وقد أمر محمد ﷺ عن وحي من ربه سبحانه بخمس صلوات في اليوم، ليضطر الإنسان للتخلي عن انشغالاته المادية لحظات من اليوم، وذلك لكي يرتفع في خلالها إلي مولاه عز وجل، كما أمر محمد أن لا تجعل العبادة موجهة لأغراض ذاتية، فإن الله أعلم بما هو

الأصلح لنا، وقد قام محمد ﷺ بحماية الأطفال وتحريم قتلهم، خوفاً من إعالتهم وهي العادة القديمة التي كانت منتشرة في الجاهلية، ورعى محمد ﷺ حق الرقيق، وأمر بمعاملته كعضو من الأسرة، وقد كان محمد ﷺ أول من قرر المساواة والعدالة بين المسلمين من أغنى الناس وأقواهم، ولو كان ملكاً أو أميراً - إلى أفقر الناس وأضعفهم - كما حرم السرقة والقتل والإكراه وشرب الخمر ولعب الميسر»[(١٦٤)].

هكذا إذن سعى آل سعود في سابق العهود وفي حاضرها على التمسك بالشريعة الإسلامية لثمراتها العظيمة في حياة الناس وفي أخراهم بدءاً بطاعة الله ورسوله وحماية لحقوق الإنسان، فتطبيق الشريعة سعادة وسرور.

وسوف نلقي الضوء على هذه الجوانب وما يجري في المملكة العربية السعودية وهي أنموذج لتطبيق الشريعة الإسلامية في العصر الحديث. . معارضين بذلك مسألة النهضة التي جاءت في آراء المستشرقين والمرجفين والمبطلين.

ثانياً: الملك عبدالعزيز وأبناؤه في تطبيق الشريعة الإسلامية:

بعد أن وحد الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - المملكة العربية السعودية وجمعها على حكم الشريعة الإسلامية أصبح المجتمع السعودي يقوم على المحبة والمودة والإخاء، وانقضت أيام

الأحقاد والضغائن، وتلاشت سنوات الغزوات وشاعت الطمأنينة، وأصبحت الجماعة واحدة بعد أن بايعت الملك عبدالعزيز على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وصارت هي البلد المسلم الوحيد الذي ظل في منجاة من المذاهب الهدامة، والعقائد الباطلة، والثقافات الوافدة في العصر الحديث، فالشيوعية لقيت رواجاً في بعض ديار الإسلام، والعلمانية التي تقوم على التحلل والإباحية، تأثر بها كثير من الساسة والمثقفين في بلاد الإسلام، والقومية العربية التي تقوم على أساس من تقديس القيم الأرضية كالجنس والدم واللغة، حاول أتباعها حيناً من الزمن ـ وما زالت بقاياهم ـ أن يحركوا عواطف الشعوب العربية ومشاعرهم، على أساس القيم البشرية الزائلة، والطرق البدعية التي فتكت بالمجتمعات المسلمة، وراح دعاتها وأربابها يبعدون المسلمين عن النبع الصافي كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ عن طريق نشر بدعهم العقدية والمذهبية القبورية.

كل هذه الضلالات والأباطيل كانت المملكة العربية السعودية في منجاة منها، وذلك يعود أولاً إلى فضل الله تعالى ومنته على هذه البلاد، وثانياً لأن ولاة الأمر فيها كانوا ملتزمين بتطبيق الشريعة الإسلامية وإقامة أحكامها.

فملوك المملكة العربية السعودية أخذوا على عاتقهم مهمة حماية العقيدة من كل ما يخالفها من عقائد بشرية ضالة، ووقفوا بكل حزم وقوة في وجه كل مذهب دخيل، أو فكر باطل أو ثقافة لا تتفق مع الإسلام، فبقي المجتمع الإسلامي نقياً صافياً لم تشبه شوائب تلك المذاهب والثقافات الضالة.

وليس هناك دستور في أي دولة مسلمة، ينص صراحة على أن الحاكم مسؤول عن حماية عقيدة المسلمين وثقافتهم الإسلامية، كما هو منصوص عليه في النظام الأساسي للحكم في المملكة العربية السعودية إذ: على كل مواطن أن يحمي عقيدة الإسلام، ويدافع عنها، كما نصت على ذلك المادة الرابعة والثلاثون، ذلك أن «الدفاع عن العقيدة الإسلامية والمجتمع والوطن واجب على كل مواطن».

وعمل ملوك المملكة العربية السعودية بعد حماية العقيدة الإسلامية على حماية مناهجه التعليمية والثقافية والتربوية والإعلامية من أي غزو فكري، وجعلها متفقة مع روح الدين الإسلامي وتوجيهاته، فالأسس العامة التي يقوم عليها التعليم في المملكة العربية السعودية مثلاً تنص على:

(إن السياسية التعليمية في المملكة العربية السعودية تنبثق من الإسلام الذي تدين به الأمة عقيدة وعبادة وخلقاً وشريعة

وحكماً ونظاماً متكاملاً للحياة، وهي جزء أساسي من السياسة العامة للدولة).

والعلوم الدينية أساسية في جميع سنوات التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي بفروعه، والقرآن الكريم وحفظه وتلاوته، والثقافة الإسلامية مواد أساسية في جميع سنوات التعليم الجامعي والعالي، كما أن من أهم الأهداف التي سعى الإسلام إلى تحقيقها حفظ المجتمع الإسلامي من منكرات الأخلاق ورذائلها، لأن فساد المسلمين في أخلاقهم سيؤدي إلى ضعفهم وهوانهم، إذ بقاء الأمم ببقاء أخلاقها، وذهابها بضعفهم وهوانهم، و بذهاب أخلاقها، إنه في ظل الشريعة الإسلامية تسود الفضيلة وتشيع الآداب الرفيعة، والأخلاق الكريمة، وفي ظل تنفيذ أحكامها تختفي كل أسباب إشاعة المنكرات والمفاسد، وبصلاح المجتمع تصبح الأمة قوية عزيزة كريمة، وتجربة المملكة العربية السعودية في تطبيق الشريعة الإسلامية تؤكد ذلك وتقرره؛ فقد ظلت المملكة محفوظة من الانحرافات السلوكية والأخلاقية التي ابتليت بها المجتمعات البشرية في هذا العصر، إذ خرجت المرأة هناك متبرجة سافرة، تعرض مفاتن جسدها لأصحاب الشهوات، وفتحت حوانيت الخمور، وأقيمت دور الملاهي والمراقص، وانتشرت بيوتات

الأزياء الفاسدة، وصالات عرض الأفلام الماجنة، وأبيحت المحرمات، واتخذت الخليلات، وشاعت الفاحشة بكل صورها، وكان إفسادهم للمرأة بداية الطريق لإفساد المجتمعات، كل هذا باسم الحرية والمدنية، وتحت شعار الحضارة والتقدمية، فكيف حفظ ولاة الأمر في المملكة مجتمعهم من تلك الأمراض الخلقية والرذائل الاجتماعية؟

يكفي للإجابة عن هذا السؤال قراءة نص الأمر الملكي الذي أصدره الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ وفيه: «وغير خاف أنه قد صار آخر هذا الزمان دعوة للتمدن، وهي بلا شك رقصة من رقصات الشيطان، وذلك قول القائل إني مسلم بلا عمل، ولا اعتقاد مع اتباع الأقوال والأفعال، مبرراً عمله في ذلك بأنه من أعمال البلاد المتمدنة، وأقبح من ذلك في الأخلاق ما حصل من الفساد في أمر اختلاط النساء بدعوىٰ تهذيبهن وترقيتهن، وفتح المجال لهن في أعمال لم يخلقن لها. . فنسين واجباتهن الخلقية من حب العائلة التي عليها قوام الأمم، وإبدال ذلك بالتبرج والخلاعة، ودخولهن في بؤرات الفساد والرذائل، وادعاء أن ذلك من عمل التقدم والتمدن، فلا والله ليس هذا التمدن من شرفنا وعرفنا وعاداتنا»[١٦٥].

وكان هذا هو المنهج الرشيد الذي رسمه الملك عبدالعزيز

ـ يرحمه الله ـ لأبنائه من بعده، إذ أخذ ولاة الأمر على أنفسهم مهمة المحافظة على الفضائل والآداب الإسلامية العامة، فمنعوا السفور والاختلاط والتبرج، وكل مظاهر الفساد والانحلال، وصدرت ـ لتحقيق هذا الغرض ـ الأنظمة واللوائح الإدارية، ومنها على سبيل المثال: قرار مجلس الوزراء عام ١٣٩١هـ الصادر بشأن مكافحة السفور وعدم الاحتشام في الأماكن العامة(١٦٦)، وكذلك فإن نظام الأمن العام يتضمن نصوصاً تفرض على قوات الأمن العام واجب حماية الآدب والأخلاق العامة، وإلزامها بمنع كل من يظهر في الأسواق والطرقات العامة بحالة منافية لآداب الإسلام وأخلاقه(١٦٧)، وتتولى هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي أنشأها الملك عبدالعزيز ـ إلى جانب الأمن العام ـ مهمة المحافظة على الآداب والأخلاق العامة، وقراءة في بعض اختصاصاتها تجعلنا ندرك أولاً تلك النعمة العظيمة التي حبا الله تعالى بها المملكة العربية السعودية، بل إن حماية المملكة العربية السعودية للعقيدة الإسلامية لتمتد دائرتها حتى تشمل الأطفال الصغار وهم في دور الحضانة ورياض الأطفال، وذلك في ضوء تربيتهم التربية الإسلامية الصالحة، وهذا ما أشارت إليه الوثيقة التي حددت معالم سياسة التعليم بالمملكة؛

فقد جاء في البند الثالث منها: «إن من أهداف دور الحضانة ورياض الأطفال صيانة فطرة الطفل، ورعاية نموه الخلقي والعقلي والجسمي في ظروف طبيعية شبيهة بجو الأسرة، متجاوبة مع مقتضيات الإسلام، وأخذ الطفل بآداب السلوك وتيسير اتصافه بالفضائل الإسلامية(١٦٨)».

كما إن المتتبع لحالة الأمن التي ينعم بها المسلمون في الجزيرة العربية، منذ قيام الدولة السعودية الإسلامية، ولن يعرف حقيقة هذه النعمة العظيمة، إلا إذا استقرأ أوضاع الناس الأمنية قبل، «ففي نجد والأحساء كان الناس متعادين متفرقين، ليس فيهم ملك ولا إمام، ولا يسودهم شرع ولا نظام، يقتل بعضهم بعضاً، ويأكل قويهم ضعيفهم، ولا يتناهون عن منكر فعلوه، وليؤطرون على فرض تركوه»، أما منطقة الحجاز فكانت مرتعاً خصباً للنهب والسلب، والقتل وقطع الطريق والاحتيال والنصب، بعد أن انتشرت عصابات قطع الطريق على حجاج بيت الله الحرام، كان الناس يُحذرون المسافرين من أخطار الطريق، ومن يريد الحج يودع أهله وداع مفارق لا عودة له، ومن الأمثال التي كانت شائعة على ألسنتهم: «الذاهب للحج مفقود، والعائد منه مولود»، ولم تكن الحال في جنوب الجزيرة بأحسن مما كانت عليه في نجد والحجاز، فقد

كانت عسير مركزاً للاضطرابات والفتن القبلية والحروب الطاحنة، ولم تستطع القائمة فيها إنهاء الفوضى والاضطرابات، وإشاعة الأمن بين الناس إلى أن قامت الدولة السعودية، وبسطت نفوذها على المنطقة، فنعم الناس بالأمن على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم(١٦٩).

فقد أكد الملك عبدالعزيز - رحمه الله - منذ دخول الأماكن المقدسة تحت ولايته واستتب الأمن في مملكته داخلياً، بين ذلك للعالم الإسلامي وخصوصاً لوفود الرحمن، فحرص على تبليغ ذلك للمسلمين، في مشارق الأرض ومغاربها، فقال - رحمه الله تعالى - في النداء الذي وجه إلى المسلمين من مكة المكرمة، في شهر شعبان عام ١٣٤٣هـ، الموافق للخامس والعشرين من شهرفبراير عام ١٩٢٥م: «لما كان من أجل مقاصدنا خدمة الإسلام والعالم الإسلامي وهو المبدأ الذي اتخذناه عند الشروع في هذه القضية العظيمة الشأن رأيت الواجب يدعوني لأبين للمسلمين عامة ما يلي:

«إننا نرحب ونبتهج بقدوم وفود حجاج بيت الله الحرام، من كافة المسلمين في موسم هذه السنة، ونتكفل - بحول الله - بتأمين راحتهم، والمحافظة على حقوقهم، وتسهيل أمر سفرهم إلى مكة المكرمة من إحدى الموانئ التي ينزلون إليها، وهي:

رابغ، أو الليث، أو القنفذة، وقد أحكم فيها النظام، واستتب الأمن استتباباً تاماً منذ دخلتها جيوشنا، وستتخذ من التدابير في هذه المراكز جميع الوسائل التي تكفل تأمين راحة الحجاج إن شاء الله تعالى»(١٧٠)

ولقد ظل الأمن يسود المملكة العربية السعودية من أقصاها إلى أقصاها، بعد وفاة الملك عبدالعزيز رحمه الله، وانتقال الولاية إلى أبنائه من بعده، وهم الملك سعود، وفيصل، وخالد رحمهم الله تعالى، حتى كان عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود حفظه الله.

وحقيقة الأمن الذي عاشته الدولة السعودية، ولا تزال تعيشه، لا ينكره إلا جاهل أو حاسد أو حاقد، ولقد شهد خبراء الأمن ومفكروهم بنعمة الأمن العظيمة التي ينعم بها الناس على أرض هذه الدولة الإسلامية، يقول جورج أنطونيوس في كتابه «يقظة العرب»: لم يكن نجاح ابن سعود ـ أي الملك عبدالعزيز ـ في إدارة مملكته يقل عن نجاحه في الحرب والسياسة، فإن مهمة توطيد الأمن، ونشر العدالة، ووضع أسس التقدم كانت شاقة في تلك المساحة الواسعة من البلاد التي فتحها، لقد بطلت عادة الغزو، ولم تعد القبائل تعرف معنى الإتاوة، وأصبح من النادر اليوم أن يتعرض أحد لمسافر

أو يسرق حاجاً، ولا نبالغ إذا قلنا إن المملكة العربية السعودية قد بلغت في حفظ الأمن اليوم درجة قد تفوق دول العالم كافة، ولا يستثنى من ذلك أعرقها في الحضارة»(١٧١).

وقال دي جانيرو في الندوة العلمية لدراسة تطبيق التشريع الجنائي الإسلامي في مكافحة الجريمة التي عقدت في الرياض سنة ١٣٩٦هـ: «باعتباري رئيساً للجنة الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة أقول: (إن المملكة العربية السعودية قد أوضحت لنا ـ ونجحت في ذلك ـ أن الشريعة الإسلامية قادرة بدرجة كبيرة جداً على مكافحة الجريمة، أو على الأقل توسيع مدى الأمن، وأن هذه المهمة يمكن أن تلخص في كلمة واحدة هي أن المملكة العربية السعودية قد نجحت في كفاحها هذا، لكي تحصل على الأمن بطريقة إيجابية وقانونية في بلادها»(١٧٢).

إن ترك التمسك بالإسلام وتطبيق الشريعة الإسلامية لدى كثير من بلدان المسلمين أدى إلى ظهور مذاهب ومبادئ سياسية واقتصادية وعقدية، لا تمت إلى الإسلام بصلة، ومنها الشيوعية القائمة على الاستبداد والإلحاد، والديمقراطية الغربية القائمة على الشرك والتحلل والفساد، فكانت الأمة في حاجة إلى دولة تحيي مبدأ الاحتكام إلى الشريعة الإسلامية، وتجعلها المصدر الوحيد في إدارة شؤونها الدينية والدنيوية، وكانت

المملكة العربية السعودية هي النموذج والقدوة كما أسلفنا، فإن المسلمين كانوا كذلك في حاجة إلى دولة إسلامية معاصرة، تحيي مبدأ الشورى الإسلامي، لتؤكد صلاحيته بوصفه نظاماً حقق للمسلمين سعادة الدارين، ويرد مزاعم المنهزمين نفسياً من أبناء الأمة الذين بهرتهم المدنية الغربية، وظنوا أن تقدمنا تقنياً وعلمياً وصناعياً لا يتحقق إلا بالأخذ بالديمقراطية الغربية؛ وهكذا كانت المملكة النموذج والقدوة في إحياء مبدأ الاحتكام للشريعة الإسلامية الغراء والاعتماد على الشورى.

وكانت البداية في عهد المؤسس الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ عندما أمر بإنشاء مجلس الشورى وافتتحه سنة ١٣٤٩هـ ـ ١٩٢٩م، وألقى فيه كلمة رسم فيها معالم الحكم في مملكته، ومما جاء فيها: «إنكم لتعلمون أن أساس نظامنا وأحكامنا هو الشرع الإسلامي، وأنتم في تلك الدائرة أحرار في سن كل نظام، وإقرار العمل الذي ترونه موافقاً لصالح البلاد، شرط ألا يكون مخالفاً للشريعة الإسلامية، لأن العمل الذي يخالف الشرع لن يكون مفيداً لأحد والضرر كل الضرر في السير على غير الأساس الذي جاء به نبينا محمد ﷺ»[١٧٣].

وكان من اختصاص مجلس الشورى في عهد الملك عبدالعزيز أن الحكومة تعرض عليه أعمالاً جليلة كثيرة لتأخذ

رأيه فيها، ومنها على سبيل المثال ميزانيات دوائر الحكومة، وسن القوانين والأنظمة في ضوء أحكام الشريعة، ومع أن مهمة المجلس استشارية أو تنظيمية، أو هي مزيج منهما فقد منح الملك عبدالعزيز المجلس صلاحيات أخرى: ومنها أن يلفت مجلس الشورى نظر الحكومة إلى أي خطأ في تطبيق القوانين والأنظمة المعروضة[(١٧٤)].

ويعد مبدأ الشورى ركيزة أساسية من ركائز الحكم في المملكة إلى أن صدر نظام مجلس الشورى الجديد عام ١٤١٢هـ، فحدد معالمه، ورسم قواعده، وبين واجبات المجلس واختصاصاته بما يواكب متطلبات الزمان في العهد الزاهر الميمون عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود ـ يحفظه الله ـ، كل ذلك في إطار من الشريعة الإسلامية، حيث جاء في كلمته التي تصدرت أمره الملكي الكريم الاستدلال بقوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾[(١٧٥)]، وقوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[(١٧٦)]، واقتداء برسول الله ﷺ في مشاورة أصحابه، وبناء علي ما تقتضيه المصلحة العامة يتميز مجلس الشورى عن المجالس النيابية في بلاد العالم بأنه يقوم ـ كما جاء في المادة الثانية من نظام المجلس ـ على: «الاعتصام بحبل الله، والالتزام بمصادر

التشريع الإسلامي، ويحرص أعضاء المجلس على خدمة الصالح العام، والحفاظ على وحدة الجماعة، وكيان الدولة، ومصالح الأمة»، وليس من دين أمر بإقامة العدل كما أمر به الإسلام، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(١٧٧)، وتعدد مجالات العدل وميادينه، وتطبيق الشريعة الإسلامية، وإقامة حدودها من مظاهره أن يكون المسلمون متساوين أمام القضاء تجري عليهم الأحكام الشرعية بلا تمييز دفعاً للظلم، وإحقاقاً للحق، وأخذاً بيد الضعيف، وردعاً للظالم، وزجراً للمعتدين على الدماء أو الأموال أو الأعراض.

لقد أقام الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - الحدود الشرعية على كل من يرتكب جريمة يستحق عليها حداً، دونما تمييز بين غني وفقير أو بين شريف ووضيع، فانتشر الأمن وعمت الطمأنينة بعد سنوات من الخوف والرعب، والاعتداء على الدماء والأموال والأعراض بغير حق. ونذكر القارئ هنا بالبيان الذي أذاعه الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - وفيه: «إن الملك يعلن للناس كافة أن من كان له ظلامة على كائن من كان، موظفاً أو غيره، كبيراً أو صغيراً، ثم يخفي ظلامته فإنما

إثمه على نفسه، وأن من له شكاية فقد وضع على باب دار الحكومة صندوق للشكاوى مفتاحه لدى جلالة الملك، فيضع صاحب الشكاية شكايته في ذلك الصندوق، وليعلم الناس كافة أن باب العدل مفتوح للجميع على السواء، والناس كلهم كبيرهم وصغيرهم أمامه واحد، حتى يبلغ الحق مستقره»(١٧٨).

وفي بيان آخر عن الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ جاء فيه: «من عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود إلى شعب الجزيرة العربية: على كل فرد من رعيتنا يحس أن ظلماً وقع عليه، أن يتقدم إلينا بالشكوى، وعلى كل من يتقدم بالشكوى أن يبعث بها بطريق البريد أو البريد المجاني على نفقتنا، وعلى كل موظف بالبريد أو بالبرق أن يتقبل الشكاوى من رعيتنا، ولو كانت موجهة ضد أولادي أو أحفادي أو أهل بيتي.

وليعلم كل موظف يحاول أن يثني أحد أفراد الرعية عن تقديم شكواه مهما تكن قيمتها، أو يحاول التأثير عليه ليخفف من لهجتها، أننا سنوقع عليه العقاب الشديد، لا أريد في حياتي أن أسمع عن مظلوم، ولا أريد أن يحملني الله وزر ظلم أحد، أو عدم نجدة مظلوم، أو استخلاص حق مهضوم.

وكل شكاية ترفع لنا عن طريق البرق أو البريد من أي

شخص كان يجب أن ترسل لنا بنصها، ولا يجوز تأخيرها، ولا إخبار المشتكىٰ منه، سواء أكان أميراً أو وزيراً أو أدنىٰ أو أكبر من ذلك»[١٧٩].

ولقد وصل العدل بالملك عبدالعزيز إلىٰ أن يدعو كل من كان له مظلمة أو شكوىٰ ضده، فليتقدم بمظلمته وشكواه، وهذا ما أعلنه في الكلمة التي ألقاها في المؤتمر الذي عقد في جمادىٰ الأولىٰ سنة ١٣٤٧هـ ـ ١٩٢٨م، وحضره أكثر من ثمانمائة من ذوي الحل والعقد من العلماء وزعماء القبائل من البدو والحضر، ومن جملة ما قاله: «ابحثوا في شخصي وأعمالي؛ فمن كان له علي ـ أنا عبدالعزيز ـ شكوىٰ أو حق أو انتقاد في أمر دين أو دنيا فليبينه، ولكل من أراد الكلام، عهد الله وميثاقه وأمانه، أنه حر في كل نقد يبينه، ولا مسؤولية عليه»[١٨٠].

ولقد اهتم الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ بإقامة العدل في المجتمع الإسلامي بحكم الشرع الإسلامي الحنيف، حيث أصدر الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ مرسوماً ملكياً في ٤/ ٢/ ١٣٤٦هـ يتم بموجبه أول تنظيم للمحاكم الشرعية بالمملكة العربية السعودية، الغرض منه الفصل في المنازعات والقضايا في ضوء أحكام الشريعة الإسلامية، ثم أعيد ترتيب

المحـاكم وتنظيـمـهـا على إثر صـدور المرسـوم الملكي عـام ١٣٩٥هـ، ثم عـام ١٤٠٢هـ، وبمقـتـضـاه تم ترتيب المحـاكم واختصاصها[١٨١].

ويتميز القضاء الشرعي في المملكة العربية السعودية بمزايا كثيرة؛ منها: استقلاله وحيدته، وهذا ما جاء مصرحاً به في النظام الأساسي للحكم الصادر في عـهـد خادم الحـرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود ـ يحفظه الله ـ عام ١٤١٢هـ، فقد نصت المادة السادسة والأربعون على أن القضاء سلطة مستقلة، ولا سلطان على القضاة في قضائهم لغير سلطان الشرع، ومنها إقرار مبدأ المساواة أمام القضاء دونما تمييز بين المواطنين والمقيمين، وهذا ما بينته المادة السابعة والأربعون من النظام الأساسي للحكم ونصها: «حق التقاضي مكفول بالتساوي بين المواطنين والمقيمين بالمملكة»، ومن خصائص القضاء الإسلامي في المملكة مجانية القضاء فلا يوجد حالياً أي رسوم مقررة على التقاضي، وباب القضاء مفتوح على مصراعيه للجميع على قدم المساواة»[١٨٢].

إن للمسلم في المجتمع الإسلامي الذي يعيش فيه حقوقاً، على الإمام المسلم أن يحفظها ويرعاها، ويأتي في مقدمة تلك الحقوق حقه في ممارسة أمور دينه ممارسة سليمه في العقيدة

والعبادة والمعاملة دون أن يجد أي عقبة تعترضه في حياته، فهو يعلن إسلامه، ويمارس شعائره التعبدية، ويتعامل بالمعاملات التي أباحها له الإسلام دونما منع أو حجر.

ومن تلك الحقوق كذلك حقه في التملك دونما تدخل من الدولة الإسلامية، ما دام قد وصل إلى ما يملكه عن طريق مباح، وكسب حلال، ومنها حقه في العمل شرط أن يكون هذا العمل متفقاً مع تعاليم الإسلام وأحكامه. ومنها حقه في إبداء الرأي والنصيحة إذا كان فيه مصلحة، وبما لا يتعارض مع قواعد الإسلام وأصوله.

والمسلمون الذين عاشوا في العصور الإسلامية السالفة، ضمن لهم الخلفاء والولاة تلك الحقوق، والتاريخ يشهد بذلك ويؤكده؛ ذلك لأنهم حكموا الأمة بالكتاب والسنة، وهما المصدران الوحيدان اللذان يكفلان تلك الحقوق، بمثل تلك الصورة المضيئة، وبما أن أئمة المملكة العربية السعودية وملوكها ساسوا الرعية بالشريعة الإسلامية، فإن كفالتهم لحقوق المواطنين كانت ـ ومازالت ـ ركيزة أساسية من ركائز حكمهم.

فبموجب النظام الأساسي للحكم ونظام المناطق فإن حقوق الأفراد فيها وحرياتهم مصونة ومحفوظة، فقد نصت المادة السادسة والعشرون من النظام الأساسي للحكم على: أن الدولة تحمي حقوق المواطن وفق الشريعة الإسلامية، ونصت

المادة السابعة عشرة من النظام الأساسي للحكم على: أن الملكية، ورأس المال، والعمل مقومات أساسية في الكيان الاقتصادي والاجتماعي في المملكة، وهي حقوق خاصة وفق الشريعة الإسلامية، وجاء في المادة الثامنة عشرة من النظام الأساسي للحكم: «تكفل الدولة حرية الملكية الخاصة وحرمتها، ولا ينزع من أحد ملكه إلا للمصلحة العامة، على أن يعوض المالك تعويضاً عادلاً.

وبموجب هذه الحماية، فإنك ترى من يملك الملايين من الريالات، ويشيد عشرات من المصانع والمساكن دونما مصادرة أو مسألة، ما دام تملك تلك الملايين والمصانع والمساكن وفق الشريعة الإسلامية، على حين نجد في بعض ديار الإسلام من لا يستطيع أن يتملك أكثر من مسكن، ويجد عنتاً شديداً عندما يريد أن يبني لنفسه مصنعاً، أو يفتح لنفسه في مصرف رصيداً.

وأما عن حرية الرأي أو ما يسمى بحرية الكلمة، فإن ولاة الأمر بالمملكة قد ضمنوا هذا الحق للعلماء والدعاة من منابر التبليغ والنصيحة، وللباحثين والمفكرين والكتاب من منابر الصحافة، ما دامت الكلمة في إطار تعاليم الشريعة الإسلامية، فقد جاء في المادة التاسعة والثلاثين من النظام الأساسي للحكم: «تلتزم وسائل الإعلام والنشر وجميع وسائل التعبير بالكلمة الطيبة، وبأنظمة الدولة، وتسهم في تثقيف الأمة

ودعم وحدتها. . ».

تمسكت المملكة العربية السعودية بالشريعة الإسلامية وسايرت دولاً كثيرة في جوانب التقدم والتطور تمتعاً بنعم الله ومارزقهم من الطيبات انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾(١٨٣)، ومن ثم لم تضيق الشريعة على المسلمين أي وجه من وجوه الحياة، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾(١٨٤)، وحتى عند ما توصف به الشريعة بالباطل بالقسوة والتخلف. . إلخ في مسائل تطبيق العقوبات وتحريم المفاسد والانحرافات كل هذا مردود، إذ بالنظر إلى الأرقام الإحصائية الموجودة لدى أي مؤسسة في العالم عن أحوال المملكة العربية السعودية نجد أن تلك الإحصاءات عن المملكة ليست شيئاً مذكوراً فيما هو واقع عند المجتمعات التي لا تطبق الشريعة الإسلامية وتتهمها بالقصور من دول غير إسلامية أو لدي بعض الدول الإسلامية التي استنكفت عن تطبيق الشريعة فلننظر إلى إحصاءات الحالات التالية في المملكة (الطلاق، الانتحار، المخدرات، الاغتصاب، القتل، الأمراض النفسية. . . إلخ)، ومقارنتها بأي دولة أخرى، فنجدها متدنية وضئيلة لا تذكر، وفي هذا

دليل على صلاح الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان وهي سعادة الإنسان. هكذا إذن فالشريعة الإسلامية تَعْمَد إلى الحفاظ على المسلم وتحقق له ما يأتي:

١ ـ حماية عقيدته وثقافته.

٢ ـ تحقيق العدل والمساواة بين المسلمين وغيرهم بحكم ما أنزل الله.

٣ ـ الأخذ بمبدأ الشورى.

٤ ـ كفالة حقوق الأفراد وصيانتها.

٥ ـ حماية المجتمع في أمنه واستقراره.

٦ ـ حماية المجتمع في أخلاقه وسلوكه.

وصدق الله العظيم القائل في محكم التنزيل: ﴿ **ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ** ﴾.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبعه من دعاة الخير بإحسان إلى يوم الدين.

ثالثاً: الوثائق الملكية عن الوهابية في المملكة العربية السعودية:

وتأسيساً على ما جاء في الآية الكريمة التي تأمر النبي ﷺ واتباعه باتباع شريعة الإسلام إلتزاماً بالكتاب والسنة، رأيت مناسبة بيان أساس الدعوة الإسلامية في المملكة العربية

السعودية ورد مفتريات وشبهات الموتورين والمرجفين بما يسمونه بالوهابية.

فمنذ العَقْد المبارك بين الإمامين محمد بن سعود ومحمد بن عبدالوهاب - يرحمهما الله تعالى - والدعوة السلفية في المملكة العربية السعودية تتعرض لهجمات بعض المغرضين والمبطلين والجهلاء، فتارة تَصْدر كتبٌ وأسفار، وتارة تطالعنا مقالات صحفية وأخبار، وأحياناً مقابلات إذاعية وتلفازية مليئة بالإفتراء، وكم أسفت وتألمت كثيراً عندما اطلعت على ما كتبه أحدهم أخيراً بعنوان: «الوهابية وآثارها في البلاد العربية والإسلامية»، وأشد ما جاء في هذا الكتاب القول بأن: «الوهابية ربيبة اليهودية والصليبية»، كما ذكر أن: «الوهابية وأبواقها تنفذ المخططات اليهودية والصليبية والشيوعية ضد الإسلام والمسلمين باسم التوحيد». ولما لهذه الأقوال من خطورة وظلم قصد به النيل من المنهج الإسلامي الذي تتبعه المملكة العربية السعودية، المبني على الكتاب والسنة وما ثبت عن السلف الصالح، بقصد السعي إلى إضعاف المكانة القيادية الكبيرة التي تتمتع بها المملكة في أوساط الشعوب والدول الإسلامية، وما خصها الله به من مزايا دينية ودنيوية.

ولما لهذا الأمر من أهمية سياسية ودينية وبما يليه الواجب

الإسلامي فضلاً عن الواجب الوطني والإنساني رأيت أن أبين بعض الحقائق من خلال عرض بعض الوثائق الملكية التي جاءت في أقوال ملوك المملكة العربية السعودية مع تقديم وبيان موجز لحقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب -يرحمه الله- إذ أن الخطاب السياسي المرتبط بالدين من ولاة الأمور فيه دلالة قاطعة على عدم قبول الباطل.

لقد عم وسط الجزيرة العربية وكثيراً من البلدان الإسلامية في أوائل القرن الثاني عشر الهجري ضلال عظيم، أخطر مظاهره الشرك بالله الواحد الأحد، وصرف كثير من أنواع العبادات إلى غير الله من التعلق بالمخلوقين من الأحياء والأموات والجمادات بالدعاء والاستعانة، فصار التوحيد بأقسامه الثلاثة مشوباً بما يكدره من معتقدات نأت عن هدي المصطفى ﷺ، وانحرفت العبادات، وانتشرت البدع، وعم الجهل.

وقد هيأ الله سبحانه وتعالى من عباده من يقوم بإرشاد الناس إلى الله -جل جلاله- والتمسك بكتابه العزيز وسنة النبي الرؤوف الرحيم ﷺ، فقام الشيخ محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله- يدعو إلى التوحيد الخالص، ونبذ البدع، وآزره في هذه الدعوة الإمام محمد بن سعود أمير «الدرعية» -رحمه الله تعالى- وكتب الله لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب النجاح

والنفع، وعمّ أثرها أكثر أرجاء الجزيرة العربية، وكثيراً من بلدان المسلمين في العالم، وهذا شأن الدعوات الصحيحة المبنية على كتاب الله العزيز وسنة نبيه ﷺ، التي تسعى لإزالة مظاهر الشرك، وتصحيح ما أُدخل على التوحيد وبخاصة توحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات من بدع وخرافات. إن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب لم تتقبلها بعض الفِرَقِ التي رأت فيها منازعة لسلطان بدعها وخرافاتها، فوصفتها «بالوهابية»، لإيهام الناس بأنها شيء دخيل لم يسبق للمسلمين بها معرفة وعلم لتنفيرهم منها، وسعت إلى نشر هذا اللقب، ثم تلقّف أعداء الإسلام هذا المسمى وجعلوه سلاح تمزيق لأمة الإسلام، وتفكيك لوحدة المسلمين. وقد ظن بعض الجهلاء أن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب دعوة كفر، وأن من يسير عليها كافر. لكن الصحيح الذي عرفه كل من اهتم بدراسة هذا الموضوع يعرف أنها تقوم في الأصول الاعتقادية والأحكام الشرعية على نهج الكتاب والسنة بما كان عليه النبي ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم جميعاً.

وفي رسالة للشيخ محمد بن عبدالوهاب أرسلها إلى أحد علماء أهل العراق يقول: «وأخبرك أني ولله الحمد متبع ولست بمبتدع، عقيدتي وديني الذي أدين الله به مذهب أهل السنة

والجماعة الذي عليه أئمة المسلمين مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم إلى يوم القيامة، لكني بيَّنت للناس إخلاص الدين لله، ونهيتهم عن دعوة الأحياء والأموات من الصالحين وغيرهم، وعن إشراكهم فيما يعبد الله به من الذبح والنذر والتوكل والسجود، وغير ذلك مما هو حق الله الذي لا يشرك فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل، وهو الذي دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم، وهو الذي عليه أهل السنة والجماعة»(١٨٥).

هذه هي دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب يرحمه الله التي لا زالت تتعرض إلى كثير من الإساءة بالباطل، وتنجر هذه الإساءة إلى المملكة العربية السعودية في وقتنا الحاضر بغير وجه حق. هذه الدولة التي هي قبلة المسلمين وراعية الإسلام والحرمين الشريفين، التي يحمل عَلَمُها في جميع دول العالم كلمة التوحيد، ويحكم فيها بشريعة الإسلام وتطبيق حكم الله.

ومعلوم أن منطلقات الهجوم على دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وعلى المملكة العربية السعودية تقوم على أمور كثيرة، أولها الهوى واتباع الظن الذي لا يغني من الحق شيئاً، ثانيها مصادمة أهل البدع والخرافات لهذه الدعوة التي تحرمهم سلطان الولايات واستدرار الأموال والتزييف على الناس، وثالثها

الترويج لدعايات وادعاءات باطلة من الذين يلبسون الحق بالباطل، قال تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين** ﴾(١٨٦)، ورابعها الفكر الاستعماري الذي روجه الرحالة الغربيون بين الناس ضد الإسلام والمسلمين في الجزيرة العربية التي قامت على دعوة التوحيد الذي لا يخدم مصالح الاستعمار، والذي يتبنى الصوفية والحركات التي أدعت الإسلام مثل البهائية والقاديانية وغيرها كثير، وخامسها الأُغلوطات التاريخية بين حركة «الوهبية» ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب التي وصفت «بالوهابية» من جهة أخرى.

لقد خلط الناس بين الوهبية والوهابية جهلاً وآخرون عمداً وتزييفاً. فمن المعلوم أن علي بن محمد اللخمي المالكي القيرواني المتوفي عام ٤٧٨هـ، سئل عن الوهبية وهم قوم سكنوا بين أظهر المسلمين وأظهروا مذهباً مخالفاً لعقيدة المسلمين وشريعتهم المعتمدة على الكتاب والسنة، وهذه الفئة تنتمي أو تنسب إلى عبدالله بن وهب الراسبي الخارجي الأباضي المتوفي عام ٣٨ هجرية وفي وقعة النهروان. وخلال القرن الثاني الهجري قام عبدالوهاب بن رستم بنشر ما أسماه بالوهابية، وهي فرقة متفرعة عن الوهبية، الفرقة الخارجة على أمير المؤمنين علي بن

أبي طالب رضي الله عنه، والتي ذكرنا بأن مؤسسها ابن وهب الراسبي، وقد افتى بكفرها كثير من علماء المسلمين خصوصاً في بلاد المغرب. وهذا الأمر له تفصيل بينه فضيلة الشيخ الدكتور محمد بن سعد الشويعر في كتابه النفيس: (تصحيح خطأ تاريخي عن الوهابية) ليس مكانه هنا. هكذا إذن لبَّس الناس الحق بالباطل وقالوا وخاضوا إما جهلاً، أو زوراً وبهتاناً عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وبين تلك الفرقة الخارجة عن هدى الإسلام.

وأما مسألة نعت المملكة العربية السعودية بالوهابية على سبيل الذم والتنقص، وأنه مذهب مخالف للمذاهب الإسلامية المعروفة، فقد بين الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود – يرحمه الله– حقيقة ذلك في الخطاب الذي ألقاه في جموع رؤساء وفود الحجيج وعموم حجاج بيت الله الحرام في غرة ذي الحجة عام ١٣٤٧هـ (مايو ١٩٢٩م) عندما قال: «يسموننا «بالوهابيين) ويسمون مذهبنا «الوهابي» باعتبار أنه مذهب خاص، وهذا خطأ فاحش نشأ عن الدعايات الكاذبة التي يبثها أهل الأغراض، نحن لسنا أصحاب مذهب جديد أو عقيدة جديدة، ولم يأت محمد بن عبدالوهاب بالجديد، فعقيدتنا هي عقيدة السلف الصالح التي جاءت في كتاب الله وسنة

رسوله وما كان عليه السلف الصالح، ونحن نحترم الأئمة الأربعة ولا فرق عندنا بين مالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة كلهم محترمون في نظرنا»(١٨٧).

ومما يؤسف له أن كثيراً من مفكري الغرب من غير المسلمين عرفوا حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وكتبوا عنها أمثال بروكلمان، وبرنارد لويس، وكانتول... إلخ، ولننظر إلى مقولة المؤرخ الأمريكي لوثروب ستوارد عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته حيث قال: (أما الدين فقد غشيته غاشية سوداء، فألبست الوحدانية التي علمها صاحب الرسالة «أي النبي ﷺ»، سخفاً من الخرافات، وقشور الصوفية، وخلت المساجد من أرباب الصلوات، وكثر عدد الأدعياء الجهلاء، وطوائف الفقراء والمساكين، يخرجون من مكان إلى مكان، يحملون في أعناقهم التعاويذ، ويوهمون الناس بالأباطيل والشبهات، ويرغبونهم في الحج إلى قبور الأولياء، وزينوا للناس التماس الشفاعة من فناء القبور، وغابت عن الناس فضائل القرآن، فلو عاد صاحب الرسالة إلى الأرض في ذلك العصر ورأى من كان يدعي الإسلام لغضب)(١٨٨).

وبعد مضي ستين عاماً من حديث الملك عبدالعزيز – يرحمه الله– عن الوهابية يعود خادم الحرمين الشريفين الملك

فهد بن عبدالعزيز آل سعود -حفظه الله- ليوضح جذور هذا المسمى: «الوهابية»، الذي أطلق بهتاناً وزوراً ويبين حقيقته، حيث قال -رعاه الله- في الكلمة الافتتاحية لمؤتمر وزراء الإعلام في الدول الإسلامية المنعقد في مدينة جدة عام ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م: «لقد درجت كثير من الصحافة في عالمنا الإسلامي، أو في عالمنا العربي، أو العالم الغربي، أو العالم الشرقي، على نعت هذه الدولة بأنها «وهابية». إن منهم يعتبر هذا مديحاً إذا رضي، ويعتبره ذماً إذا غضب. ويرى أن «الوهابية» مذهب يخالف مذهب أهل السنة والكتاب، ويخالف مذهب السلف الصالح. هذا الأمر قد لا يعنيكم كثيراً، ولكن إذا سمحتم لي أن أعتبر هذه المناسبة فرصة لكي يعلم إخواننا الإعلاميون أو كتابنا ويدركوا تماماً أنه ليس هناك شيء اسمه: «وهابية». إذا أراد أن يهين هذه البلاد وأهلها فإنه يطلق عليهم «وهابيين». وهذا معناه إذا تقبلناه مذهباً آخر يختلف عن العقيدة الإسلامية. أولاً ليس هناك شيء اسمه «وهابية»، وإذا أراد أحد أن يكيل لنا شيئاً لا يوجد فينا أو يهين كرامة إمام من أئمة المسلمين وهو الإمام محمد بن عبدالوهاب فإنه يلصق بهذه الدولة اسم: «وهابية»، وأنا أقول ليس هناك شيء اسمه: «وهابية» في هذه البلاد. ومن اطلع على مؤلفات

شيخنا الكبير في هذه البلاد الإمام محمد بن عبدالوهاب يجد أنه درّس في صغره على الأئمة في هذه البلاد، ثم انتقل للدراسة في الحرمين الشريفين، وبعد ما تشبع بالدراسة على أيدي العلماء المسلمين الذين كانوا موجودين آنذاك هنا أو ممن يفدون إلى بيت الله الحرام سواء للعمرة أو للحج، ذهب إلى البصرة واستفاد من كثير من العلماء الأفاضل. وبعدها ذهب إلى الأحساء واستفاد كذلك من طلبة العلم الموجدين في ذلك الوقت، ثم عاد إلى وسط المملكة العربية السعودية.

كانت العقيدة الإسلامية موجودة ولكن كانت تشوبها شوائب كثيرة وأدخلت عليها بعض الأمور التي لا تتفق مع نص العقيدة الإسلامية الصحيحة. فكان تفكير الإمام محمد بن عبدالوهاب ينصب على اختيار الوسيلة التي يستطيع ان يوضح بها هذا الإمام الجليل لشعب هذه الجزيرة في ذلك الوقت المفهوم الصحيح للعقيدة الإسلامية. ووجد من أعانه على هذا الأمر، وهو الإمام محمد بن سعود الذي كان في قرية اسمها الدرعية تبعد عن الرياض بحوالي عشرين كيلاً. وهو جد العائلة السعودية الآن، فاتفق الاثنان على أن يقوم الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب بإيضاح كثير من الأمور التي كانت موجودة آنذاك وهي لا تتفق مع العقيدة الإسلامية، على أن يقوم الإمام

محمد بن سعود بمساندته وحمايته. ومن الطبيعي أن الاثنين كانا يعانيان معاناة كبيرة حتى استطاعا أن يبصّرا سكان هذه الجزيرة بمفهوم العقيدة الإسلامية. وعندما استقر الأمر إلى أن أصبح المواطن في هذه الجزيرة أو بالأحرى في وسط الجزيرة يدرك معنى العقيدة الإسلامية إدراكاً متكاملاً. ونستطيع أن نترحم الآن على إمامنا الشيخ محمد بن عبدالوهاب وكذلك الإمام محمد بن سعود، ونسأل الله أن يرحمهما ويسكنهما فسيح جناته لأنهما قاما بعمل جليل لا يرجوان منه إلا رضا الله عزوجل.

ولا تزال السلالتان سلالة آل سعود وسلالة الإمام محمد بن عبدالوهاب موجودة إلى الآن، ولقد أدى الملك عبدالعزيز الرسالة التي قام بها آباءه وأجداده وأجداد الإمام محمد بن عبدالوهاب، وكانت متصلة بهم إلى يومنا هذا. لقد أردت أن أوضح مثل هذا الأمر الذي ربما لم يكن أحد يعتقد أنه واضح وذلك بصفتي مسؤولاً عن هذه الدولة مع إخواني المسلمين في مجلس الوزراء أو في الدوائر الحكومية الأخرى، أو حكام المناطق والهيئات الحكومية التي تتدبر مصالح الوطن في جميع أجزاء البلاد. أقول أردت أن أوضح مثل هذا الأمر حتى يكون واضحاً ونعفى من كلمة (وهابيين)، لأنه إذا تركناها بدون

إيضاح فربما أن أحداً يعتقد أننا نحن نريد ذلك الشيء... وآباؤنا وأجدادنا أدوا ما استطاعوا أن يؤدون من أعمال جليلة. مرة أخرى استميح الإخوان عذراً إذا كنت قد تطرقت إلى موضوع هو خارج عن مؤتمركم تماماً... ولكني وجدت أنها فرصة في هذا المجتمع الذي يضم أصحاب الرأي والقلم والفكر لأن يسمعوا من مسؤول الدولة واقع ذلك الأمر.

إننا لا نستحسن أبداً أن ينعتنا أحد بالوهابيين فهذا يعني أننا لنا مذهب خاص... وهذا غير صحيح. وإذا كان أحد لا يصدق فنحن نرحب بأي إنسان يناقشنا في هذا الموضوع، ويناقش طلبة العلم عندنا الذين هم من سلالة الإمام محمد بن عبدالوهاب ومن غير سلالته عن واقع هذا الأمر ليجد أنه غير صحيح»(١٨٩).

لقد بين خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود -يحفظه الله- في خطابه الملكي الذي يعد وثيقة ملكية في إطارها الإسلامي والسياسي حقيقة الوهابية استناداً إلى عقيدة إسلامية أساسها الكتاب والسنة كما فعل الملك عبدالعزيز من ذي قبل. وكما قلنا فالخطاب السياسي هو البرهان والدليل.

ولو أمعنا النظر في المقولة التي أوردناها آنفاً للمؤرخ الأمريكي لوثروب ستوارد، وهو من غير ملة المسلمين لعرفنا إدراكه لحقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب -يرحمه الله- وجهل أمرها من جهلها من المسلمين، ولا يفوت على عاقل بل ولا مؤمن بصير أن يعي مضمون الخطاب الموجه إلى الأنبياء والرسل في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ **ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون** ﴾(١٩٠) وحاشاهم صلوات الله وسلامه عليهم، أن يكون الشرك فيهم وقد اصطفاهم وهداهم الإله الواحد الأحد. بل إن خطاباً مفرداً إلى النبي محمد ﷺ وجه إليه في قوله جل وعلا: ﴿ **لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين** ﴾(١٩١)، فهل يقبل مسلم آمن بالله أن يرضى اتباع دعوة هي ربيبة الصهيونية والصليبية والشيوعية والاستعمار مخالفة لحقيقة التوحيد؟ إن أُمراء المسلمين وعقلاء الأمة الإسلامية وعلماءها البصيرين لابد أن يعلموا أن تحقيق التوحيد وخلوصه لله أمر ليس بالهين، خصوصاً إذا ما قرأنا قوله عز وجل: ﴿ **وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون** ﴾(١٩٢)، فهل تحقق هؤلاء الذي يتهمون المملكة العربية السعودية ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب بالكفر والإلحاد هل تحققوا من مضامين هذه الآية الكريمة ومعانيها

وما سبقها من آيات، فنقول: هاتوا برهانكم؟.

وتأسيساً على ما جاء في خطاب خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود -يحفظه الله- في مؤتمر وزراء الإعلام وبين فيه الرسالة التي قام بها الملك عبدالعزيز باتباع الشريعة الإسلامية والحكم بها، وتبعه في ذلك أبناؤه البررة نعرض للقارئ جملة من الوثائق الملكية التي جاءت في كلمات ملوك المملكة العربية السعودية منذ عهد الملك عبدالعزيز -يرحمه الله- وحتى العهد الزاهر عهد الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود -يرعاه الله- ذلك أن شواهد الحال والمقال في عصرنا الحاضر في المملكة العربية السعودية تبين أن الدعوة الإسلامية فيها قائمة على الكتاب والسنة أصولاً وفروعاً، وأقوال قادة المملكة العربية السعودية صريحة بأن بناء الدولة يقوم على الكتاب والسنة وذلك ماثل للعيان من الواقع المشهود مقارناً مع بقية دول العالم، ومن نماذج أقوالهم ما يلي:

أولاً: الملك المؤسس عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود.

تحدث -رحمه الله- في أول مؤتمر إسلامي في تاريخ الإسلام الحديث عقد في رحاب مكة المكرمة عام ١٣٤٤هـ قائلاً:

(أعترف أمام الله وأمام كل المسلمين بأني لا أريد إلا العودة إلى دين الإسلام الصحيح القويم، والبعد عن العقائد الوثنية التي ليست من الإسلام في شيء، وإن عقيدتي هي عقيدة أجدادي الأطهار، وإن عاداتهم وشعائرهم هي شعائرنا، وإننا نعود في كل شيء إلى أحكام القرآن الكريم والسنة، ونحاول أن نعيش كما عاش الخلفاء الراشدون، وكل ما نطمع فيه أن يتحد العلماء المسلمون، فيتحد العالم الإسلامي، نريد أن يكون اتحاداً قوياً متيناً، وأن يخضع العالم الإسلامي خضوعاً تاماً لأحكام القرآن الكريم والسنة)(١٩٣).

ثم استطرد -يرحمه الله- قائلاً: « أيها المسلمون الغيورون، لعل اجتماعكم هذا في شكله وفي موضوعه أول اجتماع في تاريخ الإسلام في العصر الحديث، ونسأله تعالى أن يكون سنة حسنة تتكرر كل عام عملاً بقوله عزوجل: ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان** ﴾(١٩٤). إنكم تعلمون أنه لم يكن في العصور الماضية أدنى قيمة لما يسمى في عرف هذا العصر بالرأي العام الإسلامي، بحيث يرجع إليه الحكام للتشاور فيما يجب من الإصلاح. إن المسلمين قد أهلكهم التفرق في المذاهب والمشارب، فأتمروا في التأليف بينهم والتعاون على مصالحهم ومنافعهم العامة المشتركة،

وعدم جعل اختلاف المذاهب والأجناس سبباً للعداوة بينهم ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾(١٩٥). وأسأل الله عز وجل أن يوفقني وإياكم لإقامة دينه الحق وخدمة حرمه وحرم رسوله صلوات الله وسلامه عليه، والتأليف بين جماعة المسلمين، والحمد لله رب العالمين».

وجاء في خطاب الملك عبدالعزيز -يرحمه الله- أمام وفود الحجيج عام ١٣٥٢هـ قوله:

«أشكر الحق - جل وعلا - على أن أتاح لنا هذا الاجتماع بوفود بيت الله الحرام الذين جاءوا لأداء فريضة الحج التي هي ركن من أركان الدين. ومن أهم غايات هذه الاجتماعات، ولا ريب، التعارف والتناصح بين المسلمين، والتناصح لا يكون إلا بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، وقد قال رسول الله ﷺ: «الدين النصيحة»(١٩٦). وإن من واجب المسلم إسداء النصيحة للمسلمين وإنارة السبيل لهم، وأنا فرد من المسلمين، من واجبي أن أشرح لهم ما أنا عليه، وأن أبين لهم الطريق السوي. وإني أعتبر الكبير والداً، والوسط أخاً، والصغير ولداً لي. وقد جعلنا الله أنا وأبنائي وأجدادي مبشرين ومعلمين بالكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح. لا نتقيد بمذهب دون آخر. ومتى وجدنا الدليل القوي في أي

مذهب من المذاهب الأربعة رجعنا إليه وتمسكنا به، وأما إذا لم نجد دليلاً قوياً أخذنا بقول الإمام أحمد، فهذا كتاب الطحاوية في العقيدة الذي نقرأه وشرحه للأحناف، وهذا تفسير ابن كثير وهو شافعي»(١٩٧).

ثانياً: الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود.

قال -يرحمه الله-: إننا نحن المسلمين لا نهدف بالدعوة إلى وحدتنا وجمع كلمتنا وتوحيد صفوفنا شراً ولا عدواناً بأحد، لأن الشر والعدوان ليسا في الإسلام في شيء... إنما نهدف ونقصد بذلك أن يكون العالم الإسلامي في وضع قوي محترم مشرق، ليساهم في رفع المستوى الروحي والثقافي بين الأمم، وفق الرسالة الإنسانية التقليدية التي عرف بها الإسلام، وقام على أساسها وعلى مبادئها»(١٩٨).

وقال -يرحمه الله- «المسلمون إخواننا أينما حلوا ونزلوا، والعرب أهلونا أنى ارتحلوا وحيث كانوا. نسعى لخيرهم جميعهم وفي سائر الميادين. وقد علم القاصي والداني هذا الشعور المشترك بيننا... هذه العزيمة التي صممنا على السير فيها، ومن أجل ذلك نرجو من الله أن يعين الجميع ليرجع للمسلمين عزهم وسؤددهم، وللعرب أوطانهم وبلادهم»(١٩٩).

ثالثاً: الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود.

تحدث -يرحمه الله- إلى بعثات الحج عام ١٣٨٣هـ في خطاب له قال فيه:

«إذا كنا نريد أن نكون مسلمين حقاً فيجب أن نتبع كتاب الله وسنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه»[٢٠٠].

وفي عديد من المناسبات تحدث الملك فيصل -رحمه الله- قائلاً:

«إنه يجب على المسلمين أن ينتخبوا نخبة منهم في جميع أقطار الأرض، ويجتمعوا في هذه البقعة المباركة (مكة المكرمة)، كل سنة ليتدارسوا أمور المسلمين، وليصححوا ما أعوج منها وليقووا ما هو ثابت منها».

«إننا كإخوة لكم ندعو الله على بصيرة، ونأمل أن يوفقنا الله إلى أن نقوم بما يجب علينا في خدمة ديننا وخدمة إخواننا المسلمين، ولسنا في ذلك ندعي أننا أحسن المسلمين، أو أقدر المسلمين، أو أفضل المسلمين، إنما نحن من ضمن المجموعة الإسلامية التي تدعو إلى الله، وترجو منه سبحانه وتعالى أن يوفق العالم الإسلامي إلى أن يعود إلى حظيرة الإسلام، وأن ينصر دينه لينتصر هو، وأن يطبق شريعة الله

ليحقق العدل، وليحقق المساواة، وليحقق الأخوة».

«إننا في هذا البلد الشريف قد عاهدنا الله على أنفسنا بأن نكون بحول الله وقوته خداماً لشريعة الله، داعين إلى الله، متعاونين مع كل إخواننا المسلمين في أقطار الأرض لما فيه نصرة هذا الدين وتحكيم شرع الله وخدمة شعوبنا، بل وفي نشر العدالة في العالم أجمع.

إن الإسلام أيها الإخوان هو رسالة العالم أجمع وليس رسالة لشعب خاص، ولا لبلد خاص، ولا لأمة خاصة، لذلك فإنه يجب على الجميع أن يتعاونوا، وأن يتكاتفوا فيما فيه خير دينهم ودنياهم، وفيما فيه حفظ كرامتهم وعزتهم: ﴿ **إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** ﴾[٢٠١].

«ليس لنا أن أي غرض أو مطمع سوى وحدة كلمة العرب والمسلمين، وأن تكون كلمة الله هي العليا، ودينه هو الظاهر».

رابعاً: الملك خالد بن عبدالعزيز آل سعود.

قال -يرحمه الله- في خطابه أثناء افتتاح مؤتمر القمة الإسلامي الثالث الذي عقد في رحاب بيت الله الحرام في مكة المكرمة عام ١٤٠١هـ:

« وإذا كان ما نصبو إلى تحقيقه ليس أمراً سهلاً ويسيراً، فيجب ألا يقودنا ذلك إلى اليأس والتخاذل والتقاعس، وإنما ينبغي أن يحفزنا إلى العمل الجاد والجهد المضني والجهاد الجماعي الذي نتغلب به على كل ما يواجهنا من صعوبات، واضعين نصب أعيننا أنه لن يكون هناك أي استقرار إلا بتطبيق الشريعة الإسلامية التي لا فلاح لنا إلا بالتمسك بها والسير على هديها »[٢٠٢]، واستطرد يرحمه الله قائلاً :

« إن مبادئ الإسلام السمحة، ورسالته الإنسانية يجب ألا تقتصر على المسلمين وأوطانهم، بل يجب أن تمتد إلى جميع بقاع الأرض؛ لتنعم بها البشرية جمعاء، وتشمل فوائدها ومميزاتها الناس كافة. إن رسالة الإسلام رسالة إنسانية عالمية، لا تفريق فيها أو تمييز، وإنني لأتطلع إلى مقبل الأعوام، وقد قام كل فرد مسلم، وكل عالم ومفكر إسلامي، وكل قائد مسلم بواجبه في نشر هذه الرسالة الخالدة والتعريف بها. وقد هيأت لنا العلوم والثقافة والتقنية ووسائل الإعلام كل الإمكانات والسبل لإبلاغ هذه الرسالة، وعندها سنعيد للتاريخ عهداً من عهوده المجيدة المتوجة بالحضارة الإسلامية حيث يحيا الإنسان في ظل السلام والأمن والحق والعدل والمساواة ». وقال -يرحمه الله- :

«إن قوة الإسلام هي قوة الخير والمحبة والسلام وإن الدعوة إلى وحدة الأمة الإسلامية هي دعوة تحث على العمل والتعاون مع المؤمنين بالله في كل مكان لنشر هذه المبادئ السامية، وتحقيق الأمن والسلام والرخاء للإنسانية بأسرها».

«إن التحديات المعاصرة التي تواجه أمتنا الإسلامية في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية، تحديات كبيرة ومتعددة، ولكن القيادات السياسية الإسلامية تستطيع مواجهة تلك التحديات بتمسكها بالتضامن الإسلامي، وإيجاد المناخ الملائم لتحقيق مضامينه وتطبيق مفاهيمه».

«وإنني -أيها الإخوة في الله- لأدرك تمام الإدراك أن مسؤولية خدمة الإسلام، ومسؤولية خدمة المسلمين، إنما هي مسؤولية جسيمة، وأمانة في أعناقنا جميعاً، لابد لأدائها من تظافر الجهود والتضامن بين المسلمين جميعاً حكاماً ومحكومين».

خامساً: خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود.

قال -حفظه الله- في كلمته إلى وفود حجاج بيت الله

الحرام عام ١٤١١هـ:

«لقد تأسس الحكم في هذا البلد العزيز علينا وعلى كل مسلم في العالم على تقوى الله، وإقامة حدود الله، والتمسك بتعاليم العقيدة الإسلامية نصاً وروحاً قولاً وفعلاً، نأمر بالمعروف، وننهى عن المنكر، ونقيم العدل بين الناس، نفشي السلام، ونصل الأرحام، ونسعى ما استطعنا إلى الإصلاح بين الناس وحل الخلافات بالكلمة الطيبة وبالتي هي أحسن، على هذه الأسس القويمة والدعائم الكريمة قامت المملكة العربية السعودية منذ أن أسسها الملك الراحل عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود يرحمه الله»(٢٠٣).

وفي كلمته بمناسبة الاسبوع السنوي الثالث عشر للعناية بالمساجد عام ١٤١٠هـ، قال يحفظه الله:

«ونحن في المملكة العربية السعودية نؤكد في كل يوم أن هدفنا يتمثل في حمل رسالة الإسلام، والالتزام المطلق بمنهاجه قولاً وعملاً وتطبيقاً، لأن رسالة الإسلام رسالة خالدة، وتاريخ أمتنا الإسلامية مرتبط أشد الارتباط وأوثقه بالمساجد. وسنعمل إن شاء الله في كل مضمار ومجال لما فيه عزة الإسلام والمسلمين ورفع رايتهم، وإعلاء كلمتهم، وتقديم كل عون

لصالح الدعوة الإسلامية والمسلمين. لأننا نعتبر ذلك أمانة شرَّف بها الله عز وجل كل مسلم على وجه الأرض»[٢٠٤] واستطرد قائلاً:

«وإنني أعتقد أن البداية السليمة لبناء وحدتنا تتمثل في نبذ الخلافات بين المسلمين، وتصفيتها بروح الأخوة الإسلامية عملاً بقوله تعالى: ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا**﴾[٢٠٥]. وقوله تعالى: ﴿**ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم**﴾[٢٠٦]. كما أن البداية الحقيقية لقوتنا تعتمد على قدرتنا على مواجهة المشكلات الاجتماعية والاقتصادية».

وفي خطاب للشعب السعودي بعد مبايعته -رعاه الله- عام ١٤٠٢هـ تحدث بقوله:

«إن المملكة واحدة من دول الإسلام، هي منهم ولهم، نشأت أساساً لحمل لواء الدعوة إلى الله، وشرفها بخدمة بيته وحرم نبيه، فزاد بذلك حجم مسؤوليتها، وتميزت سياستها، وتزايدت واجباتها، وهي إذ تمثل ذلك على الصعيد الدولي فإنها تتمثل بما أمر الله به بالدعوة إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة، وتحتسب ما كان يفعله الرسول ﷺ عندما يواجه الشدائد، يستخدم العقل استخدامه القوة، فالإسلام هو

دين الرحمة والعقل والقوة، وهو يأبى التخريب، ويحارب الغوغاء محاربته للذل والضعف والاسترخاء».

وخلال جلسة مجلس الوزراء لمناقشة موازنة الدولة العامة عام ١٤٠٣– ١٤٠٤هـ تحدث خادم الحرمين الشريفين بقوله:

«إن العقيدة الإسلامية هي الخير والبركة، والالتفاف حولها هو الأساس والقاعدة الأساسية والمنطلق لهذه البلاد التي أنعم الله علينا فيها بالاستقرار، وجعلها مهبطاً للوحي وللرسالة العظيمة التي أنزلت على محمد ﷺ، وجعل هذه البلاد وأهلها قدوة للإسلام والمسلمين منذ ذلك التاريخ إلى هذا التاريخ، وسوف تستمر الدولة في السير بحول الله على القاعدة الإسلامية الشرعية، ولن تخالفها أبداً، إنها قاعدة سمحة، لم تأمر بشيء إلا والخير فيه، ولم تنه عن شيء إلا والشر فيه، لذا فإن هذه القاعدة الصلبة هي التي تمكن الدولة بحول الله من السير مثلما سارت في السابق، وأرجو أن يوفقنا الله جميعاً حكومة ومواطنين لما فيه خير وعزة الإسلام والمسلمين»[٢٠٧].

سادساً: صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء.

قال –يحفظه الله– في كلمته بمناسبة الاسبوع السنوي الثالث عشر للعناية بالمساجد عام ١٤١٠هـ:

«والمملكة العربية السعودية ومنذ أن تأسست بعون الله وتوفيقه وضعت نصب عينها هدفاً سامياً هو العمل على إعلاء كلمة الله، والالتزام الكامل بشريعته ومنهاجه.. ومن أوجب الواجبات التي تشعر بها المملكة هو الاهتمام الكامل بالمساجد باعتبارها بيوت الله في الأرض ومدرسة الإسلام والمسلمين»(٢٠٨).

وفي كلمة في مؤتمر القمة الإسلامي السادس في داكار بالسنغال عام ١٤١٢هـ تحدث سموه -رعاه الله- قائلاً:

«فقد أوضحت لجميع الرؤساء الذين اجتمعت بهم أن ما ينشر بالصحف، ويذاع في وسائل الإعلام، عن الجمع بين الإسلام والإرهاب شيء يؤذينا ويؤذي مشاعر مليار ومائتي مسلم، جميعهم بريئون مما يرتكب من قتل وتدمير باسم الإسلام، حيث إن ديننا الإسلامي الحنيف يدعو إلى السلام والمحبة، ويدعو إلى حماية الأعراض، وإلى حماية الحقوق، وإلى حماية الأموال، وينبذ العنف بكافة صوره وأشكاله، ويحرم القتل إلا بالحق؛ لأنه دين الرحمة، ودين الشفقة والمساواة بين كافة الأجناس والأعراق، فليس لعربي ولا غيره فضل إلا بالتقوى، ومن هذا المنطلق يجد المسلم نفسه بريئاً مما يرتكب باسم الإسلام، ومن يدّعون الإسلام، أو يكونون مندسين أو مأجورين للغير

لتشويه سمعة الإسلام والمسلمين»[٢٠٩].

وقال سموه -يحفظه الله- في عدد من المناسبات:

«نحن في بلادنا فخورون بما نحن عليه من تمسك بالعقيدة الإسلامية الصحيحة».

«بلادنا عزيزة وقوية بدينها وعقيدتها الإسلامية، ثم بما لديها من ثروات حباها الله بها، فقد جعل لها من المكانة ما يكفل لها الاستقرار في كافة النواحي سواء اقتصادية أو ثقافية أو اجتماعية أو خلافها، ولن نبخل على إخواننا في كافة البقاع بتقديم العون أو المساعدة والدعم والوقوف إلى جانب كل محتاج».

سابعاً: صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء.

لسموه -يحفظه الله- العديد من الأقوال عن تمسك المملكة العربية السعودية بالإسلام عقيدة وشريعة إذ يقول -رعاه الله-:

«إن ما وصلنا إليه من نعمة وتقدم وحضارة هو بفضل الإسلام علينا وتطبيق الشريعة السمحة»[٢١٠].

«إن ما قام به موحد الجزيرة الملك عبدالعزيز -يرحمه الله-

هو خدمة للإسلام وتحقيق الشريعة السمحة بكل قوة وأنفة واعتزاز، لذلك أرى خادم الحرمين الشريفين وولي عهده الأمين يبذلان الجهود في خدمة الإسلام والمسلمين في هذه البلاد وخارجها».

«إن هذه الدولة بُنيت على الإسلام -إسلام المحبة والإخاء- من مؤسسها الملك عبدالعزيز وأبنائه البررة من بعده إلى عهد خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي عهده الأمين -حفظهما الله-، فكل هؤلاء يعملون بصمت لخدمة البلاد والعباد سواء في المملكة أو في كل أنحاء الأمة العربية والإسلامية، بل والمنظمات الإنسانية في أرجاء العالم».

وختاماً وبعد الاستدلال بجملة الوثائق الملكية لولاة الأمر في المملكة العربية السعودية وما فيها من برهان وحجة على التمسك بالكتاب والسنة واقعاً ملموساً وما كان من أمر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ومعاضدة الأسرة السعودية لها، هل بعد ذلك يمكن أن يقال أن تلك الدعوة ربيبة الصهيونية والصليبية والشيوعية والاستعمار لمحاربة المسلمين باسم التوحيد؟ فهل إيمان الشيوعية هو إيمان توحيد أم إيمان دنيا ودهرية؟ هل إيمان الصهيونية إيمان توراة أم إيمان تلمود؟ هل إيمان المسيحية بالواحد الأحد توحيد ألوهية ووحدانية أم

إيمان تثليث وشرك؟ كيف إذن؟

إذا كانت المملكة العربية السعودية هي صنيعة الباطل وربيبة الصهيونية والصليبية فأين المحاكم الدستورية في المملكة العربية السعودية وليس بها إلا المحاكم الشرعية؟ أين القضاء غير المستقل المقيد بأنواعه من الأنظمة والقوانين وعدد من السلطات والمجالس العليا والمجالس العسكرية والأحزاب التي تضع قوانينها بمقتضى الأهواء؟ أين الحكم بغير ما أنزل الله في المملكة العربية السعودية؟

وأين نجد في المملكة العربية السعودية دور السينما والمسارح، والمراقص والنوادي الليلية، ودعاية الجنس وحانات الخمور ودور البغاء، ونوادي الروتاري وغيرها من مؤسسات الفواحش ما ظهر منها وما بطن التي هي من أهم مهمات الصهيونية والصليبية والشيوعية والاستعمار الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا وأين؟ وأين؟

إن المملكة العربية السعودية تستقبل سنوياً مئات بل ألوف العمار والزوار والحجاج ولم ير أحد مخالفة لدين الله تستوجب هذا الافتراء وتدعى بوجود ما يسمى بالوهابية، وإلا ما سكت ملايين المسلمين على ذلك. هذا بيان فهل آن أوان شهادة

الحق أن تظهر عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب لأنها ليست الوهابية أو الوهبية إنها دعوة إتباع الحق وصراط مستقيم دعوة التمسك بالكتاب والسنة دون تخريف أو تحريف أو طائفية دينية.. إلخ، إذن علينا أن نعلم بأن الدعوة التي جاء بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب وسانده فيها الإمام محمد بن سعود -رحمهما الله تعالى- قامت لتنفيذ أوامر الله عملاً بقوله تعالى: ﴿ **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب** ﴾[٢١١].

أ.د. عدنان بن محمد بن عبدالعزيز الوزان

وكيل وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد للشؤون الإسلامية

أستاذ الأدب الإنجليزي المقارن بجامعة أم القرى سابقاً

الرياض العاشر من شهر صفر الخير ١٤٢٠هـ

الموافق ٢٥ مايو ١٩٩٩م

هوامش الكتاب

(١) وردت جملة من النقول في كتاب (المصحف والسيف) لمحيي الدين القابسي، دار الناصر للنشر والتوزيع، الرياض ١٤٠٤هـ، ط٣، ص ٣١ـ٣٢.

(٢) نقلنا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية من كتاب الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، دار القلم، بيروت، ١٤٠٥هـ، ص ١٤ـ١٥.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٦٣.

(٤) سورة النحل، الآية ٥١.

(٥) سورة المؤمنون، الآية ١١٧.

(٦) سورة الزخرف، الآية ٤٥.

(٧) سورة الممتحنة، الآية ٤.

(٨) سورة الصافات، الآيتان ٣٥ـ ٦٣.

(٩) عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ص ١٤، ١٥.

(١٠) سورة يوسف، الآية ١٠٦.

(١١) جريدة أم القرىٰ، ١٧ ذي الحجة ١٣٥٤هـ، ٢١ مارس ١٩٣٦م، الآية الكريمة التي وردت في نص حديث الملك عبدالعزيز من سورة النساء رقم ٤٨.

(١٢) جريدة أم القرىٰ، ١١ ذي الحجة ١٣٥٦هـ ـ ١١ فبراير ١٩٣٨م.

(١٣) المرجع السابق ١٧ ذي الحجة ١٣٦٢هـ ـ ١٤ ديسمبر ١٩٤٣م، الآيات الكريمات التي وردت في نص حديث الملك عبدالعزيز من سورة الذاريات رقم ٥٦، الثانية سورة الغاشية رقم ٣، الثالثة سورة التوبة رقم ١٢٨.

(١٤) رواه البيهقي في السنن الكبرىٰ، ج ٩/ ٣٣٢.

(١٥) أخرجه أبو داود في سننه ج ٥/ ١٠، ٤٦٠٤ ورواه الترمذي في كتاب العلم باب ما نهي عنه ٢٦٦٥، وابن ماجه في المقدمة ١٣.

(١٦) سورة الجاثية الآية ١٨.

(١٧) جريدة أم القرىٰ، ١١ ذي الحجة ١٣٥٥هـ ـ ٢٢ فبراير ١٩٣٧م، الآيات الكريمات التي وردت في نص حديث الملك عبدالعزيز: الأولىٰ من سورة النساء رقم ٦٥، الثانية من سورة المائدة رقم ٤٤، الثالثة من سورة المائدة رقم ٣.

(١٨) المرجع السابق، ١١ ذي الحجة ١٣٥٦هـ ـ ١١ فبراير ١٩٣٨م، الآيات الكريمات التي وردت في نص حديث الملك عبدالعزيز: الأولى من سورة الكهف رقم ١١٠، الثانية من سورة الفاتحة رقم ٧، وأما الحديث (أخوف ما أخاف) فقد أخرجه ابن ماجه ج٢/ ١٤٠٦ (٤٢٠٤ ـ ٤٢٠٥) وورد بلفظ مقارب عند أحمد ج٥/ ٢٢٨. وحديث (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين) رواه أبو داود ج٥/ ١٣ رقم (٤٦٠٧) والترمذي ج٤/ ٤٠٨ رقم (٢٦٧٦) وابن ماجه في المقدمة رقم (٤٣) وأحمد ج٤/ ١٢٦.

(١٩) المرجع السابق، ١٥ ذي الحجة ١٣٦٥هـ، ٨ نوفمبر ١٩٤٦م، ورد الحديث بلفظ (والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم) أورده مسلم في باب التوبة رقم ٤٧٤٥ ـ ٤٧٤٦. وورد بألفاظ مقاربة في مسند أحمد ج١/ ٢٨٩، وأبو يعلى ج٤/ ٣٧٥ رقم (١٧٥١) ج٧/ ٢٢٦ رقم (٤٢٢٦) والبزار في كشف الأستار ٤/ ٨١ ـ ٨٢، والطبراني في المعجم الكبير ج٤/ ١٥٦ رقمي (٣٩٩١ ـ ٣٩٩٢).

(٢٠) المرجع السابق ٢٨ محرم ١٣٤٨ هـ وفي هذا الموضوع كتب المؤلف مقالاً من حلقتين بعنوان: الوثائق الملكية عن حقيقة الوهابية، نشر في جريدة الرياض عدد ١١٣٢٣ في ١١/ ٣/ ١٤٢٠هـ وعدد ١١٣٣٠ في ١٨/ ٣/ ١٤٢٠هـ والمقال يحتوي على جملة من الوثائق الملكية لملوك وأمراء المملكة العربية السعودية في بيان منهج المملكة في الدعوة الإسلامية ورفض نسبة الوهابية إليها.

(٢١) المرجع السابق، الأول من ذي الحجة ١٣٤٧هـ، ١٥ مايو ١٩٢٩م.

(٢٢) المرجع السابق ٢١ محرم ١٣٥١هـ، ٢٧ مايو ١٩٣٢م، الآيتان الكريمتان الواردتان في نص حديث الملك عبدالعزيز: الأولى من سورة هود رقم ٨٨، والثانية من سورة آل عمران رقم ١٠٣.

(٢٣) سورة الشورى، الآية ٣٨.

(٢٤) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

(٢٥) رواه الحاكم في المستدرك، عزاه ابن كثير والسيوطي في تفسير قوله تعالى: «وشاورهم في الأمر» وكذا جاء في تفسير الحافظ الكبير ابن مردوية (ت ٤١٠هـ).

(٢٦) ورد في تفسير ابن أبي حاتم ج٣/ ٨٠١ رقم (٤٤١٣) وفي الدر المنثور في تفسير آية «وشاورهم في الأمر».

(٢٧) رواه أبو داود ج٥/ ٣٤٥ رقم (٥١٢٨) والترمذي ج٤/ ٥١٢ رقم (٢٨٢٢) وابن ماجه ج٢/ ١٢٣٣ رقم ٣٧٤٥، ٣٧٤٦ وإسناده صحيح ورجاله ثقات.

(٢٨) رواه أحمد ٤/ ٢٢٧ ورجاله ثقات إلا أن ابن غنم لم يسمع من النبي ﷺ، وكذا في مجمع الزوائد ج٩/ ٥٣.

(٢٩) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ج٣/ ١٠٧ من طريق موسى بن عقبة المتوفى سنة ١٧٨هـ صاحب المغازي طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م. وأخرجه ابن عائذ الأموي كما عزاه الحافظ ابن حجر في فتح الباري ج٧/ ٢٨٧.

(٣٠) صرح ابن إسحاق بالسماع وسنده منقطع، ورواه الحاكم في المستدرك ج٣/ ٤٤٦ ـ ٤٤٧ من غير طريق ابن إسحاق وحكم عليه الحافظ الذهبي بأنه (منكر). ورواه ابن عائذ الأموي، كما عزاه إليه ابن كثير في البداية والنهاية ج٢/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧ ـ طبعة دار الكتب العلمية بيروت ـ ورواه ابن شاهين بسند ضعيف، عزاه الحافظ ابن حجر في الإصابة ج٢/ ١٠، ورواه ابن سعد في الطبقات ج٢/ ١٥. والحديث (ضعيف). ورواه البيهقي في دلائل النبوة ج٣/ ١١٠ من طريق موسى بن عقبة، وانظر: الدر المنثور للسيوطي ج٢/ ٣٦٠ آية ١٥٩ آل عمران طبعة دار الفكر.

(٣١) أخرجه مسلم في صحيحه (وصحيح مسلم بشرح النووي) ج١٢/ ٨٦ ـ ٨٧ باب ربط الأسير وحبسه وفي كتاب الجهاد، ورواه أحمد في المسند رقم (١٣٠٦٦)، ورواه الترمذي ج٣/ ٦٤ رقم (١٦١٤) وقال (حسن غريب) والنسائي في الكبرى ج٥/ ٢٠٠ رقم (٨٦٦٢)، وابن حبان ج٧/ ١٤٣ رقم (٤٧٧٥) والحاكم في المستدرك ج٢/ ١٤٠.

(٣٢) رواه البخاري في صحيحه وشرح الحافظ ابن حجر في فتح الباري ج١٣/ ١٦٩ رقم (٧١٧٧).

(٣٣) هكذا قام نظام الحكم في المملكة العربية السعودية بتحديد نظام المناطق من أمراء ومحافظين، وسائر مجالس الدولة التنفيذية والتنظيمية مثل مجلس الوزراء ومجلس الشورى.. إلخ.

(٣٤) سورة النجم، الآيتان ٣ ـ ٤. وقول الإمام البصري عزاه إلى سعيد ابن منصور وابن المنذر وابن أبي حاكم والدارقطني، انظر تفسير ابن أبي حاكم ج٣/ ٨٠١ رقم (٤٤١٦).

(٣٥) صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٠/ ١٧٩ رقم (٥٧٢٩) كتاب الطب، وصحيح مسلم مع شرح النووي ج٧/ ١٧٧ رقم (١٠٠) كتاب السلام.
(٣٦) رواه الترمذي في الجامع ج٤/ ٥٢٩ رقم (٢٢٦٦) وقد تفرد به وقال عنه حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث صالح المُرِّيّ، وهو ضعيف.
(٣٧) جريدة أم لقرىٰ، ٦ ذي الحجة ١٣٤٨هـ ـ ٥ مايو ١٩٣١.
(٣٨) سورة الأنفال، الآية ٦٠.
(٣٩) جريدة أم القرىٰ، ٢٢ محرم ١٣٥٠ هـ ـ ٣١ مايو ١٩٣١م.
(٤٠) سورة الشورىٰ الآية ٣٨.
(٤١) سورة الحشر، الآية ١٤.
(٤٢) رواه البخاري في كتاب النكاح ٦٧/ ١٠٨ برقم (ح٥٢٢٨) ورواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب فضل عائشة رقم (ح٨٠/ ٢٤٣٩).
(٤٣) سورة الحج، الآية ٤١.
(٤٤) سورة محمد، الآية ١٤.
(٤٥) جريدة أم القرىٰ، ٩ ربيع الأول ١٣٤٩هـ ـ ١٣ أغسطس ١٩٣٠م.
(٤٦) جريدة أم القرىٰ، ٦ صفر ١٣٥٠هـ ـ ١١ يونيو ١٩٣١م.
(٤٧) سورة آل عمران، الآية ١١٠.
(٤٨) سورة التوبة، الآية ٧١.
(٤٩) رواه مسلم ج١/ ٦٩ رقم (٤٩)، وأبو داود ج١/ ٢٧٦ رقم (١١٤٠)، والنسائي ٨/ ١١ رقم (٥٠٠٨) وابن ماجه ١/ ٤٠٦ رقم (١٢٧٥).
(٥٠) أخرجه البخاري مع الفتح ج١٣/ ١٩٢ رقم (٧١٩٩)، ومسلم في الصحيح ج٣/ ١٤٧٠ رقم (٤١).
(٥١) رواه الترمذي في الجامع ج٤/ ٤٢ رقم (٢١٦٩) وأحمد في المسند ج٥/ ٣٨٨، والطبراني في المعجم الكبير ج١٠/ ١٤٦ برقم (١٠٢٦٧).
(٥٢) رواه أحمد في المسند ج٥/ ٦٦ والطيالسي رقم (٨٥٦) والهيثمي في مجمع الزوائد ج٥/ ٢٢٦.
(٥٣) سورة التوبة، الآية ١٠٥.
(٥٤) سورة القصص، الآية ٥٦.
(٥٥) سورة المائدة، الآية ٣٣.
(٥٦) جريدة أم القرىٰ، ٢١ محرم ١٣٥١هـ ـ ٢٧ مايو ١٩٣٢م.
(٥٧) سورة الحج، الآية ٤١.

(٥٨) جريدة أم القرئ، ٢٢ محرم ١٣٥٠هـ ـ ٣٠ مايو ١٩٣١م.
(٥٩) سورة النور، الآية ١٩.
(٦٠) رواه البخاري ج ٥/ ٩٧ رقم (٢٤٤٢) ومسلم ج ٤/ ٩٩٦ رقم (٢٥٨٠).
(٦١) رواه البخاري ج٨/ ١٩٦ رقم (٦٧٧٧)، وأبو داود ج٤/ ٦٢٠ رقم (٤٤٧٧)، وأحمد ج٢/ ٣٠٠، والبيهقي في السنن الكبرئ ج٨/ ١٣٨، ٣١٢.
(٦٢) سورة المجادلة، الآية ١١.
(٦٣) سورة فاطر، الآية ٢٨.
(٦٤) رواه مسلم ج٤/ ٢٠٧٤، وأبو داود ج٥/ ٢٣٥ رقم (٤٩٤٦)، وابن ماجه ج١/ ٨٢ رقم (٢٢٥)، وأحمد ج٢/ ٢٥٢و ٢٧٤، والدارمي رقم (٣٥١).
(٦٥) رواه الترمذي في الجامع ج٤/ ١٥١ رقم (٢٣٢٢)، وابن ماجه ج٢/ ١٣٧٧ رقم (٤١١٢) والبيهقي في شعب الإيمان ج٢/ ٢٦٥ رقم (١٧٠٨)، وج٧/ ٣٤١ـ ٣٤٢ رقم (١٠٥١٢، ١٠٥١٣).
(٦٦) رواه أحمد ج٢/ ٣٨١ بلفظ (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ج٩/ ١٥ رجاله رجال الصحيح، ورواه البزار إلا أنه قال (لأتمم مكارم الأخلاق)، كشف الأستار ج٣/ ١٥٧ رقم (٢٤٧٠).
(٦٧) جريدة أم القرئ، ٦ صفر ١٣٥٠هـ ـ ١١ يونيو ١٩٣١م.
(٦٨) سورة البقرة، الآية ٢٥١.
(٦٩) سورة الحج، الآيتان ٤٠ ـ ٤١.
(٧٠) رواه الترمذي بهذا اللفظ ج٣/ ٤٨٦ رقم (١٩٢٧)، ورواه مسلم بلفظ أطول ج٤/ ١٩٨٦ رقم (٢٥٦٤).
(٧١) جريدة أم القرئ، ٧ ذي الحجة ١٣٥٠ ـ ١٣ ابريل ١٩٣٢م.
(٧٢) رواه مسلم ج١/ ٧٤ رقم (٥٥) وأبو عوانه ١/ ٣٧ وأبو داود ج٥/ ٣٣ رقم (٤٩٤٤) والنسائي ج٢/ ١٨٦ رقم (٤٢٠٢) وأحمد ٤/ ١٠٢ انظر إرواء الغليل ج١/ ٦٢ ـ ٦٣.
(٧٣) جريدة أم القرئ، ٨ ذي الحجة ١٣٥٢هـ ـ ٢٤ مارس ١٩٣٤م.
(٧٤) المرجع السابق.
(٧٥) سورة البقرة، الآية ٢٠٨.
(٧٦) جريدة الجزيرة، ٢٧ ذي القعدة ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٨م.

(٧٧) سورة آل عمران، الآية ١٠٣ .
(٧٨) جريدة أم القرى، ١٦ ذي الحجة ١٣٥٣ ـ ٢٥ مارس ١٩٣٥م . والآية الواردة في نص حديث الملك عبدالعزيز من سورة آل عمران: رقم ١٠٣ .
(٧٩) سورة النحل، الآية ٩ .
(٨٠) سورة الحجرات، الآية ٩ .
(٨١) رواه مسلم. ج١/ ١٢٦ رقم (١٤٢) وعزاه المنذري في الترغيب والترهيب ج٣/ ١٧٦ والطبراني في المعجم الكبير ج٢٠/ ٤٨٢ .
(٨٢) رواه مسلم ج٣/ ١٤٥٨ رقم (١٨٢٨) والنسائي في الكبرىٰ ج٥/ ٧٥ رقم (٨٨٧٣).
(٨٣) رواه مسلم ج٣/ ١٤٥٨ رقم (١٨٢٧) والنسائي في الكبرىٰ ج٨/ ٢٢١ رقم (٥٣٧٩).
(٨٤) سورة النساء، الآية ٥٩ .
(٨٥) رواه مسلم ج٣/ ١٤٦٩ رقم (١٨٣٩) والنسائي ج٧/ ١٦٠ رقم (٤٢٠٦) وابن ماجه ج٢/ ٩٥٦ رقم (٢٨٦٤).
(٨٦) رواه مسلم ج٣/ ١٤٦٧ رقم (١٨٣٦) وأحمد ج٢/ ٣٨١، ج٥/ ٣٢١.
(٨٧) سورة آل عمران، الآية ١٠٣ .
(٨٨) جريدة أم القرى، ٨ صفر ١٣٥٥هـ، ٣٠ إبريل ١٩٣٦م .
(٨٩) سورة الحج، الآية ٤١ .
(٩٠) سورة المائدة، الآية ٤٤ .
(٩١) سورة المائدة، الآية ٤٧ .
(٩٢) سورة المائدة، الآية ٤٥ .
(٩٣) سورة النساء، الآية ٦٥ .
(٩٤) جريدة أم القرى، ٨ صفر ١٣٥٥هـ ٣٠ أبريل ١٩٣٦م .
(٩٥) المرجع السابق، ٢٩ محرم ١٣٥٥هـ ـ ٢١ إبريل ١٩٣٦ .
(٩٦) سورة غافر، الآية ٦٠ .
(٩٧) جريدة أم القرى، ٦ محرم ١٣٥٥هـ ـ ٢٤ مارس ١٩٣٦م .
(٩٨) المرجع السابق، ٢١ محرم ١٣٥١هـ ـ ٢٧ مايو ١٩٣٢م .
(٩٩) رواه البخاري الصحيح مع الفتح ج١٣/ ١٢١ رقم (٧١٤٢) وابن ماجه ج٢/ ٩٥٥ رقم (٢٨٦٠) وأحمد ج٣/ ١١٤ والبيهقي في السنن الكبرىٰ ج٨/ ١٥٥ .

(١٠٠) سورة آل عمران، الآية ١٥٩ .
(١٠١) جريدة أم القرىٰ، ٦ محرم ١٣٥٥هـ ـ ٢٤ مارس ١٩٣٦م.
(١٠٢) سورة آل عمران، الآية ٩٧ .
(١٠٣) رواه البخاري الصحيح مع الفتح ج١/ ٤٩ رقم (٨) ومسلم ج١/ ٤٥ رقم (١٦) والترمذي ج٤/ ٣٥٤ رقم (٢٦٠٩) وأحمد ج٢/ ٢٦، ١٢٠ .
(١٠٤) رواه البخاري الصحيح مع الفتح ج٤/ ٢٠ رقم (١٨٢٠) واللفظ له ومسلم ج٢/ ٩٨٣ رقم (١٣٥٠) وابن ماجه ج٢/ ٩٦٤ رقم (٢٨٨٩) وأحمد ج٢/ ٤١٠ .
(١٠٥) رواه البخاري الصحيح مع الفتح ج٣/ ٣٩٧ رقم (١٧٧٣) ومسلم ج١/ ٢، ج٥/ ١١٢، ١١٥ رقم (٢٦٢٢)، (٢٦٢٩) وابن ماجه ج٢/ ٩٦٤ رقم (٢٨٨٨) وأحمد ج٢/ ٢٤٦ والبيهقي ج٥/ ٢٦١ .
(١٠٦) سورة الحج، الآيتان ٢٧ ـ ٢٨ .
(١٠٧) سورة آل عمران الآية ٩٧ .
(١٠٨) مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد العاشر، ١٤١٢هـ، وثائق ونصوص، ص ١٦٦ .
(١٠٩) مجلة التضامن الإسلامي، الجزء الخامس، ذو القعدة ١٤٠٩هـ، ص ٣ .
(١١٠) مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد الخامس عشر السنة ١٧، ص ٢٠٨ .
(١١١) في بحث مفصل للمؤلف بعنوان «تأصيل الجانب الإسلامي والجانب السياسي لرعاية الحجاج في المملكة العربية السعودية»، ضمن منشورات مؤتمر المملكة العربية السعودية في مائة عام، ٥ شوال ١٤١٩هـ.
(١١٢) مجلة المنار، المجلد ٢٦، الجزء الأول ٢٩ رمضان ١٣٤٣هـ ـ ٢٣ إبريل ١٩٢٥م ص ١٥٨ .
(١١٣) وكالة الأنباء السعودية، تقرير ٧ ذو الحجة ١٤٠٥هـ، ص١ .
خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، ط١، بيروت.
(١١٤) سورة البقرة، الآية ١٢٥ .
(١١٥) سورة الحج، الآية ٢٥ .
(١١٦) خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، ط ١، بيروت.
(١١٧) سورة الروم، الآية ٢٢ .

(١١٨) رواه أبو داود في السنن ج٤/ ٦٠ رقم (٣٦٤٥) والترمذي في الجامع ج٤/ ٤٣٩ رقم (٢٧١٥) باب ما جاء في تعليم السريانية، وقال حسن صحيح وأحمد ج٥/ ١٨٦ والحاكم في المستدرك ج١/ ٧٥ وابن سعد في الطبقات ج٢/ ٣٥٨ والطحاوي في شرح المشكل رقم (٢٠٣٩) والطبراني في المعجم الكبير ج٥/ ١٣٣ ـ ١٣٤ رقم (٤٨٥٦ ـ ٤٨٥٧).

(١١٩) سورة إبراهيم، الآية ٤.

(١٢٠) جريدة أم القرىٰ، ٧ ذي الحجة ١٣٥٠هـ ـ ١٣ إبريل ١٩٣٢م.

(١٢١) سورة التوبة، الآية ١١٩.

(١٢٢) رواه مسلم ج٤/ ٢٠١٢ رقم (٢٦٠٧) وأبو داود ج٥/ ٢٦٤ رقم (٤٩٨٩) والترمذي ج٣/ ٥١٦ رقم (١٩٧١) وأحمد ج١/ ٣٨٤، ٣٩٣ والبيهقي ج١٠/ ١٩٥ ـ ١٩٦.

(١٢٣) رواه الترمذي ج٤/ ٢٨٦ رقم (٢٥١٨) والنسائي ج٨/ ٣٢٧ رقم (٥٧١١) وأحمد ج١/ ٢٠٠ والحاكم ج٢/ ١٣ وج٤/ ٩٩ والطيالسي رقم (١١٧٨) والطبراني في المعجم الكبير رقم (٢٧٠٨، ٢٧١١).

(١٢٤) سورة الأنفال، الآية ٦٠.

(١٢٥) جريدة أم القرىٰ، ٦ ذي الحجة ١٣٤٨هـ، ٥ مايو ١٩٣٨م.

(١٢٦) سورة يونس، الآية ٣٢.

(١٢٧) سورة النور، الآية ٥١.

(١٢٨) سورة الأنعام، الآية ١٥٣.

(١٢٩) رواه البخاري الصحيح مع الفتح ج٥/ ٣٠١ رقم (٢٦٩٧) ومسلم ج٣/ ١٣٤٣ رقم (١٧١٨) وأبو داود ج٥/ ١٢ رقم (٤٦٠٦) وابن ماجه ج١/ ٧ رقم (١٤) وأحمد ج٦/ ٧٣، ٢٤٠، ٢٧٠.

(١٣٠) رواه مسلم ج٢/ ٥٩٢ رقم (٨٦٧) والنسائي ج٣/ ١٨٨ رقم (١٥٧٨) والبيهقي في السنن ج٣/ ٢٠٧.

(١٣١) سورة المائدة، الآية ٩٨.

(١٣٢) جريدة أم القرىٰ، ١٧ ذي الحجة ١٣٥٤ـ ١٢ مارس ١٩٣٦م.

(١٣٣) المرجع السابق، الأول من ذي الحجة ١٣٤٧ ـ ١٥ مايو ١٩٢٩م.

(١٣٤) سورة السجدة، الآيات ٦ ـ ٩.

(١٣٥) سورة الإسراء، الآية ٧٠.
(١٣٦) سورة ص، الآيتان، ٧١ـ ٧٢.
(١٣٧) سورة المائدة، الآية ٣٢.
(١٣٨) رواه البخاري الصحيح مع الفتح ج١٢/ ١٨٧ رقم (٨٦٦٢) وأحمد ج٢/ ٩٤ والحاكم ج٤/ ٣٥١ بلفظ المرء.
(١٣٩) سورة البقرة، الآيات ٣١ـ ٣٣.
(١٤٠) سورة العلق، الآيات ١ ـ ٥.
(١٤١) رواه الدارمي ج١/ ٧٣، والدار قطني ج٤/ ٨٢، والبيهقي في السنن ج٦/ ٢٠٩، انظر مشكاة المصابيح ج١/ ٩٩ رقم (٢٧٩).
(١٤٢) سورة البقرة، الآية ٣٠.
(١٤٣) سورة طه، الآيتان ١١٨ ـ ١١٩.
(١٤٤) سورة الذاريات، الآيات ٥٦ ـ ٥٨.
(١٤٥) رواه البخاري الصحيح مع الفتح ج١٠/ ٣٩٧ رقم (٥٩٦٧) ومسلم ج١/ ٥٨ رقم (٣٠).
(١٤٦) سورة الشورى، الآية ١٣.
(١٤٧) سورة يونس، الآية ٥٨.
(١٤٨) محمد الغزالي، حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وميثاق الأمم المتحدة، الدار القومية للطباعة، القاهرة ١٩٦٥، ص ٦.
(١٤٩) تستمد المملكة العربية السعودية نظامها الإساسي للحكم من الشرع الإسلامي، وفيه تحقيق مبادئ الكرامة الإنسانية والحرية والمساواة والتكامل الاجتماعي والشورى، فقد أكدت المادتان الثامنة عشرة والتاسعة عشرة من نظام الحكم: كفالة الدولة لحرية الملكية الخاصة وحرمتها، وخطر المصادرة العامة للأموال.

وأشارت المادة السابعة والعشرون إلى كفالة الدولة لحق المواطن وأسرته في حالات الطوارئ والمرض والعجز والشيخوخة، ودعمها للنظام الاجتماعي.

وأكدت المادة السادسة والأربعون على كفالة حق التقاضي بالتساوي للمواطنين والمقيمين على حد سواء في المملكة، بينما نصت المادة السادسة والعشرون على أن تحمي الدولة حقوق الإنسان وفق الشريعة الإسلامية.

وقد نصت المادة السادسة والثلاثون بالتزام الدولة بتوفير الأمن لجميع المواطنين والمقيمين على إقليمها، وأنه لا يجوز تقييد تصرفات أحد أو توقيفه أو حبسه إلا بموجب أحكام النظام.

وفي المادة الثامنة والثلاثين نص على قاعدة حول العقوبة الشخصية، حيث إنه لا جريمة ولا عقوبة إلا بناء على نص شرعي أو نظامي.

لهذا كانت المملكة العربية السعودية في مقدمة الدول الإسلامية التي ارتبطت بإعلان حقوق الإنسان في الإسلام الصادر عن منظمة المؤتمر الإسلامي في ١١ محرم ١٤١١هـ، والمعروف بإعلان القاهرة.

(١٥٠) محمد المجذوب، حقوق الإنسان وحرياته في الشريعة الإسلامية، والقوانين الوضعية، معهد الدراسات الإسلامية بيروت، ١٤١٠-١٤١١هـ، ص ٥٥.

(١٥١) كان صدور الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام ١٩٤٨م. وكانت كلمة الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - عام ١٩٣٠م.

(١٥٢) جريدة أم القرى، ٦ ذي الحجة ١٣٤٨ - ٥ مايو ١٩٣٠م.

(١٥٣) سورة البقرة الآيات ٢٧٥ - ٢٨١.

(١٥٤) رواه البخاري الصحيح مع الفتح ج٥/ ٣٩٣ رقم (٢٧٦٦) ومسلم ج١/ ٩٢ رقم (٢٨٩).

(١٥٥) رواه مسلم ج٣/ ١٢١٩ رقم (١٥٩٨) وأبو داود ج٣/ ٦٢٨ رقم (٣٣٣٣) والترمذي ج٢/ ٤٩٦ رقم (١٢٠٦) وابن ماجه ج٢/ ٧٦٤ رقم (٢٢٧٧) وأحمد ج١/ ٣٩٣ و٣٩٤ والبيهقي في السنن ج٥/ ٢٩١.

(١٥٦) جريدة أم القرى، ٩ صفر ١٣٤٩ - ٢٥ يونيو ١٩٣٠م.

(١٥٧) سورة النساء، الآية ٦٥.

(١٥٨) سورة النور، الآية ٥١.

(١٥٩) سبق تخريج الحديث. ص ٣٠، حاشية ١٨.

(١٦٠) هنادي، محمد عبدالقادر، تطبيق الشريعة الإسلامية في العصر الحديث ونموذج المملكة العربية السعودية، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤١٩هـ، ص ٣٠.

(١٦١) مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، السنة الثالثة، العدد العاشر ١٤١٢هـ، ص ١٦٦.

(١٦٢) مجلة التضامن الإسلامي، السنة الرابعة والأربعون، الجزء الخامس، ذو القعدة ١٤٠٩هـ، ص ٣.

(١٦٣) وزان، عدنان محمد، صورة الإسلام في الأدب الإنجليزي، دار إشبيليا، الرياض، ١٤١٩هـ، ج٢، ص٧٨٧ـ٧٨٨.
(١٦٤) المصدر السابق، ص ٧٩٢.
(١٦٥) القابسي، محيي الدين (إعداد) المصحف والسيف، دار الناصر، الرياض ١٣٩٧هـ، ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣.
(١٦٦) خليل، عادل، القانون الإداري السعودي، مكتبة مصباح، الرياض ١٤١٠هـ، ص ١٧٧.
(١٦٧) المصدر السابق.
(١٦٨) وزارة التعليم العالي، سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٣٩٨هـ، ص ١٧.
(١٦٩) المعلمي، يحيى، الأمن في المملكة العربية السعودية، الشركة المصرية لفن الطباعة، القاهرة، ١٣٩٨هـ، ص ٢٤.
(١٧٠) مجلة المنار، المجلد ٢٦، الجزء الأول ٢٩ رمضان، ١٣٤٣ هـ إبريل ١٩٢٥م، ص ١٥٨.
(١٧١) الزركلي، خير الدين، شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبدالعزيز، ط١، بيروت، ص ٣٧١ ـ ٣٧٣.
(١٧٢) مركز أبحاث مكافحة الجريمة، الندوة العلمية لدراسة تطبيق التشريع الجنائي، وزارة الداخلية، الرياض، ١٤٠٩هـ، ص ١٦٢ ـ ١٦٥.
(١٧٣) الغلامي، عبدالمنعم، الملك الراشد، دار اللواء، الرياض ١٤١١هـ، ص ١٩٩.
(١٧٤) الزركلي، مرجع سابق، ج١ ص ٥٧١ ـ ٥٧٢.
(١٧٥) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.
(١٧٦) سورة الشورى الآية ٣٨.
(١٧٧) سورة المائدة، الآية ٨.
(١٧٨) جريدة أم القرى ٢٦ ذو الحجة ١٣٤٤هـ ـ ١٩٢٦م.
(١٧٩) الزركلي، الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز، دار العلم للملايين، ط٣، ١٩٨٣م، ص١٨٧ ـ ١٨٨.

(١٨٠) المبارك، فهد، من شيم الملك عبدالعزيز، ط١، ١٩٧٨م، ج٣ ص ١٤٨ـ ١٥٠.

(١٨١) الفحل، عبدالرزاق، قضاء المظالم وتطبيقاته في المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٤٠٢هـ، ص ٢٤٨.

(١٨٢) جيرة، عبدالمنعم، نظام القضاء في المملكة العربية السعودية، الرياض ١٤٠٩، ص ١٨٨.

(١٨٣) سورة الأعراف، الآية ٣٢.

(١٨٤) سورة الحج، الآية ٧٨.

(١٨٥) مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ص ٣٦– ٣٨.

(١٨٦) سورة الحجرات، الآية ٦.

(١٨٧) المصحف والسيف، محي الدين القابسي، دار الناصر، الرياض، ط٣، ١٤٠٤هـ ص٥٢.

(١٨٨) انظر ص ٢٣٦ كتاب: L. Stoddard, Teh New World of Islam, London, 1920.

(١٨٩) مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد ٥٧، جمادى الأولى، ١٤٠٩هـ ص ٢٦٢– ٢٦٤.

(١٩٠) سورة الأنعام، الآية ٨٨.

(١٩١) سورة الزمر، الآية ٦٥.

(١٩٢) سورة يوسف، الآية ١٠٦.

(١٩٣) الملك الراشد، عبدالمنعم الغلامي، دار اللواء، الرياض، ط٢، ١٤٠٠هـ ص٣٧.

(١٩٤) سورة المائدة، الآية ٢.

(١٩٥) سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

(١٩٦) رواه مسلم ج١/ ٧٤ رقم (٩٥)، ورواه أبو داود ج٥/ ٢٣٣ رقم (٤٩٤٤).

(١٩٧) مجلة الحرس الوطني، ذو الحجة ١٤٠٤هـ ص٨.

(١٩٨) مجلة المنهل، الرياض، عدد محرم وصفر، ١٣٧٦هـ ص٧٢.

(١٩٩) المملكة العربية السعودية وهموم الأقليات المسلمة في العالم، عبدالمحسن بن سعد الداود، دار الطاير، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ، ص٢٢٠.

(٢٠٠) فيصل بن عبدالعزيز قائد أمة ورائد جيل، عيد مسعود الجهني، مؤسسة الأنوار، الرياض، غير مؤرخ، ص٢٣.

(٢٠١) سورة محمد، الآية ٧.

(٢٠٢) من نص خطاب الملك خالد بن عبدالعزيز بمناسب افتتاح مؤتمر القمة الإسلامي الثالث بمكة المكرمة عام ١٤٠١هـ.

(٢٠٣) مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، الرياض، العدد١٠، ١٤١٢هـ، ص ١٦٦.

(٢٠٤) مجلة التضامن الإسلامي، جمادى الأولى، ١٤١٠هـ، ص١٤.

(٢٠٥) سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

(٢٠٦) سورة الأنفال، الآية ٤٦.

(٢٠٧) الإسلام في السياسة الخارجية السعودية، د. عبدالعزيز حسين الصويغ، أوراق للنشر والأبحاث، الرياض، ١٤١٤هـ، ص٥٢.

(٢٠٨) مجلة التضامن الإسلامي، عدد جمادى الأولى، ١٤١٠هـ ص١٦.

(٢٠٩) نص كلمة الأمير عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود في مؤتمر القمة الإسلامي السادس المنعقد في (داكار) في السنغال عام ١٤١٢هـ، ص١٠.

(٢١٠) مجلة الحرس الوطني، الرياض، العدد ١٧٥، شوال، ١٤١٧هـ، ص١٦.

(٢١١) سورة الشورى، الآية ١٣.

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب.

أ ـ المصادر:

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ كتب السنة:

ـ صحيح البخاري.

ـ صحيح مسلم.

ـ سنن أبو داود.

ـ سنن ابن ماجه.

ـ سنن النسائي.

ـ سنن الترمذي.

ـ مسند الإمام أحمد.

ـ سنن البيهقي الكبرى، شعب الإيمان.

ـ سنن الدارمي

ـ سنن الدارقطني.

ـ معاجم الطبراني

ـ المستدرك للحاكم.

مجمع الزوائد.

أ ـ المراجع:

ـ الأمن في المملكة العربية السعودية، يحيى المعلمي، الشركة المصرية لفن الطباعة، القاهرة ـ ١٣٩٨هـ.

ـ تطبيق الشريعة الإسلامية في العصر الحديث ونموذج المملكة العربية السعودية، محمد عبدالقادر هنادي، مركز البحوث والدراسات الإسلامية ـ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ـ الرياض، ١٣١٢هـ.

ـ الحج إلى بيت الله الحرام، ناصر الدين دينيه ـ ١٣٤٨ هـ ـ ١٩٢٩م.

ـ حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وميثاق الأمم المتحدة ـ محمد الغزالي ـ الدار القومية للطباعة، القاهرة ١٩٦٥م.

ـ حقوق الإنسان وحرياته في الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية، محمد المجذوب، معهد الدراسات الإسلامية بيروت ١٤١٠هـ ـ ١٤١١هـ.

ـ سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية ـ وزارة التعليم العالي ـ الرياض ١٣٩٨هـ.

ـ شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبدالعزيز ـ خير الدين الزركلي ـ ط١ بيروت.

ـ صورة الإسلام في الأدب الإنجليزي ـ د. عدنان محمد

وزان-دار إشبيليا، الريا ١٤١٩هـ.

- طبقات ابن سعد الكبرى، لمحمد بن سعد البصري، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.

- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، للشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ-دار القلم-بيروت ١٤٠٥هـ.

- القانون الإداري السعودي، خليل عادل-مكتبة مصباح-الرياض ١٤١٠هـ.

- قضاء المظالم وتطبيقاته في المملكة العربية السعودية، عبدالرزاق الفحل، الرياض ١٤٠٢هـ.

- المصحف والسيف، محيي الدين القابسي، دار الناصر للنشر والتوزيع، الرياض ط٣، سنة ١٤٠٤هـ.

- الملك الراشد، عبدالمنعم الغلامي، دار اللواء، الرياض ١٤١١هـ.

- من شيم الملك عبدالعزيز، فهد المبارك، ط ١، ١٩٧٨م.

- الندوة العلمية لدراسة تطبيق التشريع الجنائي، مركز أبحاث مكافحة الجريمة، وزارة الداخلية، الرياض ١٤٠٩هـ.

ثانياً: الصحف والمجلات.

- جريدة أم القرى، ٢٦ ذو الحجة ١٣٤٤هـ-١٩٢٦م.

- جريدة أم القرى، ذو الحجة ١٣٤٧هـ- ١٥ مايو ١٩٢٩م.
- جريدة أم القرى، ٩ صفر ١٣٤٩هـ- ٢٥ يونيو ١٩٣٠م.
- جريدة أم القرى، ٦ ذو الحجة ١٣٤٨هـ- ٥ مايو ١٩٣٠م.
- جريدة أم القرى، ٩ ربيع الأول ١٣٤٩هـ- ٣ أغسطس ١٩٣٠م.
- جريدة أم القرى، ٢٢ محرم ١٣٥٠هـ- ٣١ مايو ١٩٣١م.
- جريدة أم القرى، ٦ صفر ١٣٥٠هـ- ١١ يونيو ١٩٣١م.
- جريدة أم القرى، ٧ ذو الحجة ١٣٥٠هـ- ١٣ أبريل ١٩٣٢م.
- جريدة أم القرى، ٢١ محرم ١٣٥١هـ- ٢٧ مايو ١٩٣٢م.
- جريدة أم القرى، ١٧ ذو الحجة ١٣٥٤هـ- ١٢ مارس ١٩٣٦م.
- جريدة أم القرى، ٦ محرم ١٣٥٥هـ- ٢٤ مارس ١٩٣٦م.
- جريدة أم القرى، ٢٩ محرم ١٣٥٥هـ- ٢١ أبريل ١٩٣٦م.
- جريدة أم القرى، ٨ صفر ١٣٥٥هـ- ٣٠ أبريل ١٩٣٦م.
- جريدة أم القرى، ١١ ذو الحجة ١٣٥٦هـ- ١١ فبراير ١٩٣٨م.
- جريدة أم القرى، ١٧ ذو الحجة ١٣٦٢هـ- ١٤ ديسمبر ١٩٤٣م.

ـ مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، السنة الثالثة، العدد العاشر ١٤١٢هـ.

ـ مجلة التضامن الإسلامي، السنة الرابعة والأربعون، الجزء الخامس، ذو القعدة ١٤٠٩هـ.

ـ مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد الخامس عشر، السنة ١٧ .

ـ مجلة المنار، المجلد ٢٦، الجزء الأول، ٢٩ رمضان ١٣٤٣ هـ. ٢٣ أبريل ١٩٢٥م.

الفهرس

مرامر

للطباعة الإلكترونية

هاتف 4783582 فاكس 4779883